جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

قَصْدُ السَّبِيل

إلى تدبر آيات الذكر الحَكيم

: دراسة تطبيقية

إعداد

د/ أيمن حسن رجب عبد الغني
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

قصد السبيل إلى تدبر آيات الذكر الحكيم ، دراسة تطبيقية.

أيمن حسن رجب عبد الغني

قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، جامعة الأزهر – مصر

الإيميل الجامعي : tr٢٠٨٣@aqatc.azhar.live

ملخص البحث:

فقد أمرنا الله تعالى بتدبر آيات الذكر الحكيم، وتفهم معانيه، والتفكر فيما تدل عليه من إشارات ووعظات وأحكام وأسرار جمة لا يمكن حصرها، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢.

ومعلوم أنه لايتحقق التدبر والتعايش مع أسرار القرآن الكريم إذا لم يتوفر التأني والتعقل لما يقرأه الإنسان من آيات الذكر الحكيم وإلا لما عاب الله على صنف من الناس يقرءون القرآن ويسمعونه لكنهم لم يستفيدوا منه شيئًا ولم يصل إلى قلوبهم منه أين نفع أو خير قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤.

من هذا المنطلق أردت أن ألفت الأنظار إلى أهمية هذا الموضوع والتأكيد على أن المنتفعين بالقرآن الكريم هم المتدبرون لآياته الذين يعملون بأوامره وينتهون عما نهى عنه ويتخلقون بأخلاقه، وأن الغفلة عن الخشوع والتدبر لآيات الذكر الحكيم سبب لكثير من الأمراض النفسية والأزمات الأخلاقية التي يعيشها كثير من أنباء الأمة الآن..

وجاءت خطة البحث على النحو التالي

المطلب الأول: التلاوة والتجويد.

المطلب الثاني: الحفظ والتمكين.

المطلب الثالث: التدبر والتعلم.

المطلب الرابع: العمل والتخلق.

المطلب الخامس: الدعوة والتعليم.

الخاتمة: وذكرت فيها ثمرة البحث ونتائجه ثم أهم الفهارس.

الكلمات المفتاحية :

قصد السبيل ، تدبر آيات ، الذكر الحكيم ، دراسة تطبيقية

Intending the path to contemplate the verses of the Holy QuranAn Empirical Study

Ayman Hassan Ragab Abdul-Ghani
Department of Interpretation and Quranic Sciences
Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah in Monufia,alazhar university.egypt
Email: tr٢٠٨٣@aqatc.azhar.live

Abstract:
God Almighty has commanded us to contemplate the verses of the Holy Quran, understand their meanings, and think about what they indicate in terms of sermons, judgments, and great secrets that cannot be counted.
It is known that contemplation and coexistence with the secrets of the Noble Qur'an are not achieved if there is no patience and rationality for what a person reads of the verses of the Wise Remembrance. ( )Muhammad: ٢٤.
From this standpoint, I wanted to draw attention to the importance of this topic and to emphasize that the beneficiaries of the Noble Qur'an are the ones who manage its verses who act according to its commands and end what it forbidden and create morals, and that neglecting the reverence and contemplation of the verses of the Holy Quran is the cause of many psychological diseases and moral crises that many news are experiencing The

nation now ..
The research plan was as follows
The first requirement: Recitation and Tajweed.
The second requirement: conservation and empowerment.
The third requirement: reflection and learning.
Fourth requirement: work and creation.
The fifth requirement: advocacy and education.
Conclusion: The fruit and results of the research are mentioned in it, then the most important indexes.

key words :
Pursue the way, manage verses, the wise Qur’an, an applied study

المقـــــــدمة

الحمد لله الذي نوَّر بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

ونصلي ونسلم على المبعوث بشيرًا ونذيرًا "وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا" صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد .....

فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو النور الذي يهدي البشرية إلى الطريق المستقيم، أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، مَنْ تمسَّكَ به نجا وفاز بسعادة الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه هلك وخسر في الدنيا والآخرة.

ومن هنا، كانت الحاجة ماسة إلى تدبر آيات الذكر الحكيم والتعايش معها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضُرْ حضورَ مَنْ يُخاطبُهُ به مَنْ تكلَّم به – سبحانه – منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله"[1].

وقد أمرنا الله تعالى بتدبر آيات الذكر الحكيم وتفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة وما دخل في ضمنها من إشارات وعظات وأحكام وأسرار جمة لا يمكن حصرها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

(١) الفوائد للإمام ابن القيم، ص٣، تحقيق/ محمد عزيز شمس- مؤسسة سليمان الراجحي- ط دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] .

هذا، ولا شك في فضيلة تلاوة القرآن وعظم الثواب على ذلك، ولكن هل يتحقق الخشوع والتدبر مع كثرة القراءة والعجلة دون تحقق التأني؟. بالقطع لا يتحقق التدبر والتعايش مع أسرار القرآن إذا لم يتوفر التأني والتعقل لما يقرأه الإنسان من آيات الذكر الحكيم وإلا لما عاب الله عز وجل على صنف من الناس يقرؤون القرآن ويسمعونه لكنهم لم يستفيدوا منه شيئًا ولم يصل إلى قلوبهم منه أي نفع أو خير، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2].

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية هذا البحث :

"قصد السبيل إلى تدبر آيات الذكر الحكيم : دراسة تطبيقية"

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أيضًا ما يأتي:

(أ) ما رأيته في الآونة الأخيرة من هجر كثير من الناس لتدبر آيات الذكر الحكيم والتعايش معها بقلوبهم وجوارحهم والاستجابة والخضوع لما تضمنته من أوامر ونواهٍ وتوجيهات وآداب وقيم وتكاليف وأحكام شرعية وانشغالهم بالقراءة السريعة من أجل الوصول لآخر السورة واحتساب عدد من الختمات فحسب وغاب عنهم التأمل والتفكر والتدبر في أسرار هذه الآيات وما تتضمنه من درر وكنوز لا يمكن حصرها.

(ب) أن المنتفعين بالقرآن الكريم هم المتدبرون لآياته الذين يعملون بأوامره وينتهون عما نهى عنه ويتخلقون بأخلاقه لكن حينما غفلت الأمة إلا ما رحم ربِّي – عن هذا التدبر والخشوع ابتليت بالأمراض النفسية والأزمات الأخلاقية، قال الزركشي: "لن ينتفع به – أي القرآن – إلا من أخلص له قلبه ونيته، وتدبّر الكتاب في عقله

(١) سورة النساء آية (٨٢) .

(٢) سورة محمد آية (٢٤) .

وسمعه، وعمّر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره وتمسك به وتدبّره"[(١)].

وليكن لنا في الرحمة المهداه ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت:"كان خلقه القرآن"[(٢)].

(ج) أن القلب يجد راحته في تدبر آيات الذكر الحكيم وتعقل أهدافها ومقاصدها والوقوف على أسرارها فهو يتذوق حلاوة كلام الله عز وجل الحكيم الخبير فيجد لقلبه حياة أخرى ولقراءته طعمًا ولتضرعه لذة ثم تتجدد له خواطر ومعان جديدة تتدفق مع تكرار القراءة والخشوع والتدبر.

(د) أن الله عز وجل قد صوَّر الغافلين عن التدبر لآيات الذكر الحكيم بأقبح الأوصاف قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [(٣)]كما ذمهم أيضًا في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(٤)].

وبناءً على ما تقدم أردتُ أن ألفت الأنظار والأفئدة إلى أهمية هذا الموضوع مع علمي بأن البحث في هذا الميدان العظيم إنما هو مشاركة

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي(٣/ ٤٣٦) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ.

(٢) الحديث ذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦٦٥) ك المناقب – باب صفة النبي ﷺ حديث(٣٣٦٦) بقوله/ :وعند مسلم من حديث عائشة (كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه" ط دار الريان – تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي – محي الدين الخطيب ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م وذكره أحمد في مسنده (٢٥٢٨٥) باقي مسند الأنصار – حديث السيدة عائشة ط دار إحياء التراث العربي ١٩٩٣م.

(٣) سورة الأنعام آية (٢٥) .

(٤) سورة محمد آية (٢٤) .

بجهد المقل – فجزى الله مشايخنا الأجلاء الذين بذلوا جهودًا مشكورة في هذا الباب – ولكنني أردتُ أن أجمع شتات هذا الموضوع بأسلوب يتناسب مع هذا العصر بعيدًا عن الألفاظ الغامضة والتراكيب الجافة، والله المستعان وعليه التكلان-.

وجاءت خطة البحث على النحو التالي: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وبينت فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته ، والتمهيد: بينت فيه المراد بالتدبر، وأهم المصطلحات التي تتشابه معه – تنوع الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التدبر، و **المبحث الأول** جاء بعنوان: "واجبنا نحو القرآن".

أولاً: التلاوة والتجويد.

ثانيًا: الحفظ والتمكين.

ثالثًا: التدبر والتعلم.

رابعًا: العمل والتخلق.

خامسًا: الدعوة والتعليم.

المبحث الثاني: أسباب تعين على تدبر آيات الذكر الحكيم والتفكر في معانيه.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على تدبر آيات الذكر الحكيم.

المبحث الرابع: صوارف تمنع وتحول دون تدبر آيات الذكر الحكيم.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج وثمرة البحث. أهم الفهارس.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون محاولة متواضعة تنفع القارئ لآيات الذكر الحكيم وتذكره بأهمية التدبر والخشوع عند تلاوة آيات القرآن الحكيم لعلّ قلبه أن يظفر ويحظى بحياة جديدة مع كتاب الله تعالى. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

دكتور : أيمن حسن رجب عبد الغني
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

تمهـــــيد

أولا : "المقصود بالتدبر وأهم المصطلحات التي تتشابه معه" :

التأصيل اللغوي لكلمة التدبر :

تدور مادة الكلمة حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، فالتدبر هو: النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه.

قال الزجاج: "التدبر: النظر في عاقبة الشيء"(١).

وقال ابن فارس: "دبر : الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّه جُلَّه في قياس واحد، وهو آخر الشيء"(٢).

وقال الجرجاني في تعريف التدبر: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"(٣).

وعلى ذلك فكلمة التدبر في اللغة يقصد بها: النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه وتدبر الكلام: النظر في أوله وآخره ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، ولهذا جاء على وزن التَّفَعُّل التي تدلُّ على التَّكثير، ومنه تدبر القول كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ (٤) ﴾انتهى(٥).

ومما هو جدير بالذكر: أن التدبر من الكلمات الواردة في القرآن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢/ ٧٢) ، ط المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٦٦) ، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) التعريفات للجرجاني (٥٤) ، ط دار اكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٨هـ.

(٤) سورة المؤمنون آية: (٦٨) .

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢١٦) ، ط دار زمزم، تحقيق/ سيد إبراهيم وعلي محمد.

على أصل معناها اللغوي ولم تنتقل إلى اصطلاح شرعي جديد وهذا حال أغلب كلمات القرآن.

وبناء على ذلك نقول: إن التدبر حقيقة لغوية متفق على معناها ولم ينتقل إلى حقيقة شرعية، وإنما يفسر عند الإضافة بما يناسب المضاف إليه...، ثم إنَّ التدبر قد أصبح حقيقة عرفية عند المفسرين والمراد بها تدبر القرآن فإذا أطلق التدبر عندهم فالمراد به أخص من المدلول العام للتدبر.

تحرير معنى تدبر القرآن عند المفسرين:

لم يختلف استعمال المفسرين للتدبر عن معناه اللغوي وسيتجلى ذلك من خلال النظر في تعاريفهم لكلمة التدبر كما سنبين ذلك – بإيجاز– على النحو التالي:

قال ابن عطية: "التدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"(١).

وقال البغوي: "التدبر: هو النظر في آخر الأمر، ودُبر كل شيء آخره"(٢).

وقال الزمخشري: "تدبُّر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه"(٣).

وقال الرازي: "التدبير والتدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ١٦١) ط١، دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ، ت/ عبد السلام عبد الشافي.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٥٤) دار طيبة للتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ، تحقيق/ محمد عبد الله اننمر –عثمان جمعة ضميرية وآخرين.

(٣) الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٨) ط، دار إحياء التراث العربي. بيروت. دار المعرفة.

وأدبارها"[1].

وقال الآلوسي: "وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء أكان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه"[2].

وقال ابن عاشور: "معنى "يتدبرون القرآن" يتأملون دلالته وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين أي تدبر تفاصيله.

وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق..."[3].

وقال البيضاوي: قوله: "أفلا يتدبرون القرآن"[4] يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء..." [5]-

وقال أيضًا: "ليدبروا آياته" ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة"[6].

وقال البقاعي: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي يتأملون، يقال: تدبرت الشيء إذا تفكرت في عاقبته وآخر معناه"[7].

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

---

(١) التفسير الكبير للرازيي، (٥/ ٣٠٠) ، ط، دار إحياء التراث العربي. بيروت.ط٤.

(٢) روح المعاني للآلوسي (٤/ ١٥٠) دار الفكر- بيروت ١٣٩٨م.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/ ٤٨٣) ، ط، الدار التونسية للنشر والتوزيع.

(٤) النساء آية (٨٢)

(٥) تفسير البيضاوي (١/ ٤٧٨) مؤسسة شعبان – بيروت.

(٦) المصدر السابق (٥/ ٩٣) .

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٢/ ٢٣٨) .

ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1]، وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أنزل هذا الكتاب معظمًا نفسه بهذا الجمع وأنه كتاب مبارك وأن من حكم إنزاله أن يتدبر الناس آياته أي يتفهموها ويتعقلوها ويمعنوا النظر فيها حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى، وأن يتذكر أولوا الألباب أي يتعظ أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال"[2].

وقال أيضًا في آية "محمد": ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[3] ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها وتفهمها وإدراك معانيها والعمل بها فإنه معرض عنها غير متدبر لها فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهمًا يقدر به على التدبر، وقد شكا النبي ﷺ من هجر قومه هذا القرآن، كما قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان][4]".

يمكن الخروج بتعريف لكلمة التدبر بمعناها الاصطلاحي عند المفسرين بأن التدبر هو : وأقول (تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والاعتبار)

- فكلمة (تأمل) قد اتفق عليها أغلب المعرفين للتدبر.
- وكلمة (القرآن) هي الواردة في نص الآية الكريمة : (أفلا يتدبرون القرآن) [النساء: ٨ محمد: ٢٤]
- وجملة (بقصد الاتعاظ والاعتبار): هي نتيجة التدبر وثمرته هذاوقد أجاد شيخ المفسرين – الطبري- رحمه الله –في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ

(١) سورة ص آية (٢٩)

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٩) ، عالم الكتب – بيروت.

(٣) سورة محمد آية (٢٤) .

(٤) أضواء البيان (٧/ ٣٥٨) .

أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ [1] - ولذلك ختمنا به أقوالهم - حيث قال " ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع فيتعظوا ويعملوا به" [2].

هذا والذي نخلص به من كلام أئمة التفسير في معنى تدبر القرآن: أنه يراد به تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة وما دخل في ضمنها وما لا تتم تلك المعاني إلا به مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه... [3]

وبناءً علي ما تقدم فإن تدبر القرآن يشمل الأمور الآتية:

(أ)الوقوف على معاني الألفاظ ومعرفة المقصود بها.

(ب)التفكر والتأمل في ما ترشد إليه الآية أو الآيات من خلال ما يفهم من السياق أو تركيب الجمل.

(ج) أن يتعظ العقل ويعتبر بحججه ويتحرك القلب ببشائره وزواجره.

(د) الانقياد والاستجابة والخضوع لأوامره والتصديق والإيمان بأخباره.

بيان أهم المصطلحات المتقاربة من لفظ "التدبر":

هناك بعض المصطلحات المتقاربة أو المتشابهة من لفظ "التدبر"

---

(١) سورة ص آية (٢٩) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٣/ ١٥٣) .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١) تحقيق/ دار القلم – وأيضًا: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للسعدي(١٥) تحقيق/ عبد الرحمن اللويحق – مكتبة الرشد – ط الثانية ١٤٢١هـ- وأيضًا القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ السعدي(٢٨) القاعدة (١١) دار ابن الجوزي ط أولى ١٤١٣هـ.

والتي تجتمع في شيء وتفترق في آخر، ومن هذه المصطلحات :

أولا : الاستنباط : وهواستخراج ما خفي من النص بطريق صحيح[١] ويمكن بيان العلاقة بين الاستنباط والتدبر بما يلي:

(أ)أن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره والتأمل في معانيه.

(ب)أن التدبر يعم العلماء وغيرهم، والاستنباط خاص بأولي العلم، ومن لطيف التناسب بين الآيات الدالة على هذا الأمر أن آية الاستنباط جاءت عقب آية التدبر كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[١].

فوجه الأمر بالتدبر للعموم، وخصَّ الاستنباط بأولي العلم فهو لدقائق الأمور، لذا خُصَّ بالعلماء دون غيرهم.

ثانيًا: الفقه: وهو العلم بمقتضى الكلام على تأمله؛ ولهذا تقول: تفقّه ما أقول. أي: تأمله لتعرفه – أما الفهم: فهو العلم بمعنى الكلام – وأما البصيرة فهي: تكامل العلم[٢].

ثالثًا: التأمل: مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه، وتحديق ناظر القلب إلى معانيه – أي معاني القرآن الكريم – وجمع الفكر على تدبره وتعقله[٣].

---

(١) سورة النساء آية : (٨٢-٨٣) .

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص(٦٩-٧٣) .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٥١) تحقيق/ محمد حامد الفقي- ط دار الكتابالعربي ١٣٩٢هـ.

ومن خلال النظر في كلام المفسرين ندرك أن التدبر لا يكون إلا بالتأمل وفي ذلك يقول البيضاوي: " أفلا يتدبرون القرآن" أي يتأملون في معانيه"[١]. وقال البقاعي: "أفلا يتدبرون" أي يتأملون"[٢].

ومما هو متمم للفائدة هنا: أن ندرك أن محل التأمل هو مدلولات الآيات قال ابن عاشور: فمعنى: "يتدبرون القرآن" يتأملون دلالته"[٣].

فيتضح من ذلك أن التدبر مبني على معرفة التفسير وفهم المعاني، قال الزمخشري: "فمعنى تدبر القرآن" تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[٤].

رابعًا: التفكر: هو تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب، فالتفكر مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل على تردد القلب في الشيء، وأما التدبر فمأخوذ من مادة (د ب ر) التي يقصد بها النظر في عواقب الأمور، وكل من التدبر والتفكر من عمل القلب وحده إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب وكلاهما لا يشترط فيه الديمومة والاستمرار بخلاف التأمل، وهناك فرق جوهري آخر بين التأمل وكل من التفكر والتدبر وهو أن التأمل قد يحدث بالبصر وحده أو بالبصر يعقبه التفكر، أما التفكر والتدبر فبالبصيرة وحدها إذ هما من أعمال القلب، والعبرة أن التأمل قد يكون بالبصر مع استمرار وتأنٍ يؤدي إلى استخلاص العبرة، وأن التفكير جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل، أما التدبر الذي له صورة عقلية تكون بالنظر في عواقب الأمور. وهذه المعاني وإن كانت متقاربة إلا أنها ليست واحدة وإذا ذكر بعض

---

(١) تفسير البيضاوي (١/ ٤٧٨) .

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٥/ ٣٤٠) ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/ ٤٨٣) .

(٤) الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٨) .

أهل العلم أنها مترادفة فإنما يقصد فقط الترادف الجزئي[١].

خامسًا: التذكر والاعتبار والاستبصار:

التذكر : من الذكر وهو ضد النسيان وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب، واختير له بناء (التفعل)لحصوله بعد مهلة وتدرج، كالتبصر والتفهم والتعلم وهو إحضار العلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٢]. فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب، والتفكر: يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب، فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه، وأبنية التذكر ثلاثة: "الانتفاع بالعظة، والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة"[٣].

وأما **الاعتبار:** فهو من العبور لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة ولهذا يسمى (عبرة): وهي على بناء الحالات كالجلسة والقتلة إيذانًا بأن هذا العمل قد صار حالاً لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ [٤] وقال أيضًا:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [٥].

وأما **الاستبصار:** فهو استفعال من التبصر وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة[٦]. والله أعلم.

---

(١) راجع: التعريفات للجرجاني(١٧) بتصرف. ط دار الكتب العلمية. ط ثالثة ١٤٠٨هـ.

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠١) .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٤٤-٤٤٩) .

(٤) سورة النازعات آية (٢٦)

(٥) سورة آل عمران آية (١٣) .

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢١٦) بتصرف. تحقيق/ سيد إبراهيم وعلي

فنفهم مما تقدم أن هذه المفردات المتعلقة بالتدبر متقاربة تجتمع في شيء وتفترق في آخر لكنها ليست مترادفة بالكلية.

أيضًا ما ينبغي أن نؤكد عليه في العلاقة بين التدبر والتأمل: أن التدبر لا يكون إلابالتأمل فمعنى تدبر القرآن (تأمل معانيه وتبصر ما فيه)، فقوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن" أي: يتأملون في معانيه، ويعرفون ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ فمحل التأمل هو مدلولات الآيات، وغاية التدبر هي الهداية والاعتبار، والتدبر مبني على معرفة التفسير وفهم المعاني، وصحة التدبر مرهونة بسلامة القلب، كما أن اتباع المتشابه صاد عن التدبر، وأن ثمرة التدبر تحصل بالدوام والاستمرار عليه، كما أن التدبر دافع لموهم التعارض بين الآيات القرآنية، كما أن الأمربالتدبر والحث عليه يدل على أن القرآن الكريم معلوم المعنى.

ثانيا : "تنوع الأسلوب القرآني في دعوته للتدبر" :

مما هو جدير بالذكر أن القرآن الكريم حثنا على تدبر آيات الذكر الحكيم، ودعانا إلى ذلك في مواضع كثيرة من آياته المباركة، هذا وقد تعددت وتنوعت أساليب القرآن في ذلك وهذا من بلاغة القرآن واستمالته للقلوب وإعجازه، وحين نتأمل ذلك نلحظ أن القرآن الكريم تارة يحثنا على التدبر والتأمل في آيات القرآن الكريم بأسلوب صريح ومباشر، وتارة يوجه الخطاب لأصحاب العقول السليمة بأن يتدبروا آيات الذكر الحكيم التي ذكر الله فيها دلالات بينات لأولي النهى، وتارة يسرد الله القصص القرآني للتدبر والتأمل وأخذ العظة والعبرة من أحوال السابقين، وتارة أخرى يضرب الله الأمثال في القرآن للتدبر والتعقل والتذكر، وتارة أخرى يذيل الآيات ويختمها بما يدعو إلى التدبر مع بيان

محمد. ط دار زمزم.

العلة من ذكر هذه الآيات، وتفصيل هذا على النحو التالي:

(١) دعوة القرآن الكريم إلى التأمل والتدبر بأسلوب صريح مباشر:

وحين نمعن النظر ونمتعه بالبحث في جل آيات الذكر الحكيم نلحظ دعوته المباشرة للتدبر، ومن هذه الآيات.

(أ)قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

(ب) قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].

(ج) قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

(د) قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]

فهذه الآيات السابقة دعانا القرآن الكريم فيها إلى التأمل والتدبر لآيات الذكر لحكيم دعوة صريحة ومباشرة ليصل نور القرآن إلى قلوبنا، فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو النور الذي يهدي البشرية إلى الطريق المستقيم.

(٢) توجيه الخطاب لأولي الألباب والنهى:

فقد حث القرآن الكريم أصحاب العقول السليمة الراجحة علي الانتفاع بها في استعمالها في تدبر آيات الذكر الحكيم للاهتداء إلى نور الهدى والإيمان فقال تعالى:

(أ) ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

---

(١) سورة النساء آية (٨٢) .

(٢) سورة المؤمنون آية (٦٨) .

(٣) سورة ص آية (٢٩) .

(٤) سورة محمد آية (٢٤) .

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]

(ب)وقال تعالى مبينًا أن أصحاب العقول السليمة هم المعتبرون من ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]

(ج) وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾[3]

فخص الله تعالى أصحاب العقول السليمة بالذكر وبين أن أولي النهى هم المنتفعون من تلك الآيات لأنهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ[4] .

(٣) ذكر القصص القرآني للتدبر والعظة :

يسرد الله القصص في القرآن للعبرة والتفكر والتدبر وأخذ العظة من أحوال السابقين فيزداد الذين اهتدوا هدى وثباتًا على الحق حين يرون الفلاح والنجاة للطائعين والموحدين، ويزداد المكذبون حسرة وندامة حين يعلمون عاقبة ومآل المكذبين من الأمم الماضية وما حلّ بهم من النكال والوعيد.

ومن هذه الآيات التي تدل على ذلك :

(أ) قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5]

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩٠) .

(٢) سورة يوسف آية (١١١) .

(٣) سورة طه آية (١٢٨) .

(٤) راجع تفسير الطبري(١٦/ ٨٦) تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر ط١ : ١٤٢١هـ.

(٥) سورة يوسف آية (١١١) .

فبين هنا أثر ذكر القصص القرآني في الإيمان والهداية عند التأمل والتدبر لآيات الذكر الحكيم بقصد العظة والعبرة.

(ب) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [1]

وحين نتأمل في الآية السابقة نلحظ قوله تعالى:"فاقصص القصص" فإنه سبحانه يقوله لنبيه ﷺ:"فاقصص يا محمد" هذا القصص الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، فأخبار الأمم ونبأ أشباههم، وما حل بهم من عقوباتنا ونزل بهم – حين كذبوا رسلنا- من نقمتنا، على قومك من قريش، ومَنْ قبلك من يهود بني إسرائي ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا لئلا يحل بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النقم والمثُلات، ويتدبره اليهود من بنيي إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة بنوتك إذ كان نبأ "الذي آتيناه آياتنا" من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه إلا أحبارهم، ومن قرأ الكتب ودرسها منهم، وفي علمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم – الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالك الحال التي أنت بها إلا بوحي من السماء"[2].

(٤) ضرب الأمثال في القرآن بقصد التدبر والتفكر والتذكر :

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ

(١) سورة الأعراف آية (١٧٥-١٧٧) .

(٢) راجع تفسير الطبري (١٠/ ٥٨٩) بتصرف.

جَدَلًا ﴾ [1]، وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جدًا، لا لبس في الحق معها إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2]، ومن حكم ضرب المثل: أن يتذكر الناس كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

وقد بين في مواضع أخر أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قومًا، ويضل بها قومصا آخرين كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4]... ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال، وانتفعوا بما تضمنت من بيان الحق، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها ولم يعرفوا ما أوضحه من الحقائق.

فالفريق الأول: هم الذين قال الله فيهم "ويهدي به كثيرًا".

والفريق الثاني: هم الذين قال فيهم: "يضل به كثيرًا" وقال فيهم: "وما يضل به إلا الفاسقين"[5].

ونقول أيضًا: إن الله تعالى قال في بيان الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الكهف آية: (٥٤).

(٢) سورة العنكبوت آية: (٤٣).

(٣) سورة الحشر آية: (٢١).

(٤) سورة البقرة آية: (٢٦).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ١٤٣-١٤٤).

ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١]

(٥) تعليل الآيات وختمها بما يدعو إلى التدبر والتفكر:

ختم الله عز وجل كثيرًا من آياته بما يدعو إلى التأمل والتعقل والتدبر ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٢]

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٣]

وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [٤] وقوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٦] وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [٧]

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٩] وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ

---

(١) سورة إبراهيم آية: (٢٥).
(٢) سورة البقرة آية: (٢٢١).
(٣) سورة البقرة آية: (١٢٩، ٢٦٦).
(٤) سورة الأنعام آية: (٦٥).
(٥) سورة الأعراف آية: (١٧٦).
(٦) سورة إبراهيم آية: (٢٥).
(٧) سورة طه آية: (١١٣).
(٨) سورة السجدة آية: (٣).
(٩) سورة الزمر آية: (٢٧-٢٨).

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ [1] إلخ هذه الآيات الكثيرة.

ولا شك أن المؤمن يسعى لتحقيق تلك الغايات التي نزلت من أجلها الآيات ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تدبر آيات الذكر الحكيم والتعايش معها والعمل بما تضمنته تلك الآيات من توجيهات وإرشادات بها صلاح البشرية وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

(١) سورة الدخان آية: (٥٨).

المبحث الأول
واجـبنا نحو القــرآن

إن القرآن الكريم لم ينزل لمجرد أن تصدح الأصوات به، وتطرب الآذان لحسن تلاوته، ولا أن نكتفي بحفظه في الصدور فحسب بل لا بد من العمل به والدعوة إليه، وذلك يستلزم التدبر في معانيه، وفهم مراميه، ومعرفة تفسيره، والعلم بأحكامه، وكل ذلك من واجبات الأمة المسلمة – بل وكل فرد من أفرادها – تجاه القرآن العظيم، فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على خاتم المرسلين ﷺ لإرشاد الناس إلى الحق ولإخراجهم من الظلمات إلى النور وقد أمر الحق تعالى بتلاوة القرآن وتدبره والعمل به والاستمساك بهديه، ولو تأملنا حال السلف الصالح بدءًا من نبينا محمد ﷺ وانتهاءً بالمعاصرين من الصالحين في زماننا لوجدنا أن القاسم المشترك بينهم هو القيام بالقرآن تعظيمًا لقدره، والتزامًا بأمره ونهيه، نعم إنه القيام بالقرآن تلاوة وتدبرًا، وعلمًا وعملاً، وتمجيدًا وتوقيرًا ودعوة وتعليمًا ذلك كان نهجهم فكانت لهم – بذلك – الخيرية المطلقة والفضل الكبير، ثم خلف من بعدهم خلف أعرضوا عن القرآن وهجروه وتركوا تلاوته والعمل به، وصدق في كثير منهم قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، إن المصارحة التامة في صلتنا بالقرآن الكريم ستكشف لنا عن وجود خلل كبير وتقصير عظيم، فلو سأل كل منا نفسه: كم آية من القرآن تقرأ في كل يوم؟ متى آخر مرة ختمت فيها القرآن؟ أين موقع القرآن من نفسك؟ وما مدى حرصك على العمل بما علمت من القرآن؟ فإنه سيجد أن هناك دلالة قوية على أن كثيرين منا أعرضوا عن

(١) سورة الفرقان آية: (٣٠).

القرآن، ولم يجعلوا القرآن في المنزلة اللائقة به من الرعاية والعناية ولم يجعلوا له الصدارة في كل أمور حياتهم... فلنعد إلى كتاب ربنا حتى تتحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة ولندرك ولنوقن أن حالنا لا يصلح إلا برجوعنا إلى كتاب ربنا والعمل به، وسنبين فيما يأتي بعض واجباتنا نحو القرآن الكريم.

أولاً: التلاوة والتجويد:

من واجبنا تجاه القرآن تلاوته باستمرار بحيث يكون لكل مسلم ورد يومي يقرأ فيه القرآن، والتلاوة هي البداية الأساسية لكل مابعدها، وهذا عرض موجز لتوضيح موضوع التلاوة في النقاط التالية:

(أ) التلاوة في القرآن والسنة:

ورد الحث على التلاوة في القرآن والسنة بوجوه متعددة منها:

١-**الأمر بالتلاوة:** أمر الله ورسوله ﷺ بتلاوة القرآن فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1]، والأمر له ﷺ أمرٌ لأمته، وإن كان المقصود هنا ليس مجرد التلاوة بل يضاف إليها التبليغ والتعليم لكن تظل التلاوة هي المفتاح والبداية التي لا بد منها، ومن ثم نفهم دلالة التنصيص على التلاوة ضمن المهمة الأساسية لبعثة المصطفى ﷺ كم في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [2]

٢-**الترغيب في التلاوة:** وقد جاء الحث على التلاوة في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟

(١) سورة النمل آية: (٩١-٩٢).

(٢) سورة البقرة آية: (١٢٩).

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾[1].

هذا، وقد وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة في ثواب التلاوة، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ» [2].

وقد بينت السنة أيضًا أن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ "[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» [4].

ولو لم يرد في فضل تلاوة القرآن إلا حديث ابن مسعود رضي الله عنه لكفى به داعيًا للتنافس بين المسلمين في تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " مَنْ قَرَأَ

---

(١) سورة فاطر آية: (٢٩-٣٠) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن سورة "إذا السماء انشقت" باب (٣٠) "فسوف يحاسب حسابًا يسيرا" جـ٦، ص(٨٠) ، صحيح االبخاري- المكتبة الإسلامية – استنبول – تركيا ١٩٧٩م- وصحيح مسلم ك صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه جـ١ (٥٤٩-٥٥٠) تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي – رئاسة إدارات البحوث العلمية – الرياض ١٤٠٠هـ.

(٣) الحديث في صحيح مسلم جـ١، ص(٥٥٣) .

(٤) الحديث في صحيح البخاري، جـ٩، ص٦٥- وأيضًا في صحيح مسلم، جـ١، ص٥٥٨.

حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"[1].

إنه لأجر عظيم وثواب جزيل من الله تعالى لمن قرأ حرفًا واحدًا من كتاب الله عز وجل؛ فلا ينبغي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يفرط في هذا الفضل الكبير، فكم من ساعات تنقضي من أعمارنا لا نلقى لها بالاً دون أن نقرأ فيها شيئًا من كتاب الله تعالى، ولو أخذ أحدنا المصحف في ساعة من ساعاته الضائعة وتلا فيها آيات من القرآن، فكم سيقرأ فيها من حرف؟ وإذا كان بكل حرف عشر حسنات فكم سيثاب في هذه الساعة من حسنة؟ إنه لأجر كبير وفضل عظيم ينبغي أن لا نفرط فيه كذلك ينبغي لقارئ القرآن أن يحرص على إتقان التلاوة من خلال ما يلي:

(أ)**التجويد والترتيل:** فقد أمر الله تعالى بحسن التلاوة والترتيل فقال سبحانه: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [2] وقال ﷺ:"لَيْسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآن"[3]، وقال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر وغيره[4].

---

(١) سنن الترمذي، جـ٥، ص١٧٥، وقال الترمذي "حديث حسن صحيح" وقال الألباني في المشكاة (١/ ٦٥٩) ، "وهو صحيح" مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي – تحقيق/ الألباني، ط المكتب الإسلامي – بيروت، ط ثانية ١٩٧٩م.

(٢) سورة المزمل آية: (٤) .

(٣) الحديث في صحيح البخاري (فتح) : كتاب فضائل القرآن – باب من لم يتغن بالقرآن حديث (٤٧٣٦) (٨/ ٦٨٨) "فتح الباري" تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي – محب الدين الخطيب، ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

(٤) راجع ذلك في : أخلاق أهل القرآن للآجري ص١٦٩ بتحقيق/ محمد عمرو عبد اللطيف بتصرف. دار الباز بمكة المكرمة – وأيضًا: التبيان للنووي (٨٨) ط دار ابن حزم.

(ب)التأني وعدم الاستعجال: من أبرز وجوه إتقان التلاوة: التأني وعدم العجلة، والترتيل والتأني في القراءة، والتمهل وتبيين الحروف والحركات ووصف أنس ﷺ قراءة النبي ﷺ فقال: "كَانَ يَمُدُّ مَدًّا"[(١)]، وقد ورد ذم السلف لمن يتعجل في القراءة فقد قال ابن مسعود ﷺ :

«لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّعْرِ .....، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ »[(٢)]

آداب التلاوة:

ولا ريب أن للتلاوة آدابًا ينبغي العمل بها ففي ذلك أيضًا زيادة لثواب التلاوة بل هو سبيل أيضًا لتحقيق التدبر والتعقل والتأمل في آيات الذكر الحكيم.

وآداب التلاوة كثيرة، نذكر أهمها إتمامًا للفائدة:

(أ)الإخلاص لله تعالى عند القراءة، فينبغي للعبد أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى، ويقرأ على حال من يرى الله تعالى فإنه إن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه.

(ب)الطهارة وتشمل طهارة البدن، وطهارة المكان، وطهارة اللباس، وطهارة الفم، وفوق هذا كله طهارة القلب ونقاؤه من الشرك والشك والرياء.

أما طهارة البدن فقد اتفق العلماء –رحمهم الله تعالى- على أن الجنب لا يجوز له مس المصحف أو قراءة القرآن حتى يغتسل، أما الطهارة من الحدث الأصغر فقد اشترطها بعض العلماء لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[(٣)] ولم يشترطها آخرون، ومما لا

---

(١) الحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري ك: فضائل القرآن – باب مد القراءة حديث (٤٧٥٩) (٨/ ٧٠٩) .

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٣٧) وما بعدها. بتصرف.

(٣) سورة الواقعة آية: (٧٩) .

شك فيه أن الأفضل والأولى هو الطهارة من الحدث الأصغر أيضًا.

وأما طهارة المكان فلا يجوز أن يقرأ القرآن في الأماكن النجسة سواء أكانت نجاسة حسية كالحمامات ونحوها، أو نجاسة معنوية كالملاهي وحانات الخمور والفسق والفجور.

وطهارة اللباس والتطيب عند التلاوة من الآداب المحمودة، وقد كان رسول الله ﷺ إذا قام بالليل يتهجد اغتلف بالغالية[1]،وهي : أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر، وكان ابن مسعود رضي الله عنه تعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيب إذا قام إلى الصلاة، وكان رضي الله عنه إذا قرأ اعتمَّ ولبس ثيابه وارتدى، واستقبل القبلة[2].

حتى طهارة الفم حرص الإسلام عليها عند تلاوة القرآن، روى عليٌّ رضي الله عنه حديثًا عن رسول الله ﷺ وفيه: "فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ"[3].

(ج) ومن آداب التلاوة أن يستوي قاعدًا في غير صلاة تأدبًا مع القرآن.

(د) ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء قراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[4].

(هـ) ومنها أن يقرأ البسملة بعد الاستعاذة بأن يقول "بسم الله الرحمن الرحيم" وقد أجمع العلماء على مشروعية البسملة عند تلاوة كل سورة من سور القرآن الكريم سوى براءة.

(و) يستحب إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه مُخاطِبٌ ربَّهُ

---

(١) راجع: التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص(١٠٨) ، تحقيق/ ثروت محمد نافع – دار التوحيد – مصر.

(٢) المصدر السابق (١٠٨) .

(٣) راجع: كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٢٤٢) للهيثمي – تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي – مؤسسة الرسالة – بيروت ط أولى ١٣٩٩هـ –وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم(١٢١٣) .

(٤) سورة النحل آية : (٩٨) .

ومناجٍ له.

(ز) وإذاً شرع في القراءة فينبغي أن لا يشتغل عنها، ولا يقطعها، ولا يخللها بكلام الآدميين إلا لضرورة.

(ح) أن يقرأ على تؤدة وأن يرتل القرآن ترتيلاً ولا يهذه هذًا.

(ط) أن يقف عند آية الوعد فيسأل الله من فضله، وعند آية الوعيد فيستجير بالله من عقابه.

(ي) أن يرفع المصحف بيده أو على شيء مرتفع أمامه ولا يضعه على الأرض لما في ذلك من الامتهان.

(ك) أن يقرأ بتدبر وتمعن وفهم لما يتلوه ولا يكون كل همه كم قرأ؟ وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما:" لَأَنْ أَقْرَأَ سُورَةً أُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ"[١].

(ل)ومن آداب استماع القرآن الإنصات والإصغاء للتلاوة...

(م) ومنها أن لا يعبث ولا يكثر من الحركة لغير حاجة.

(ن) ومنها الخشوع عند سماع القرآن واستحضار القلب والتفكر والتدبر فيما يسمع من الآيات[٢].

ثانيًا: الحفظ والتمكين:

من سمات هذه الأمة المباركة أنهاتحفظ كلام ربها فمصاحفها في صدورها قال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٣] ولم يقف

(١) راجع في ذلك: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص(١١٩) ، بتحقيق/ عبده الكوشك- مكتبة الإحسان – دمشق ط أولى ١٤٠٨هـ.

(٢) المصدر السابق (١١٩) وما بعدها – وأيضًا: أخلاق أهل القرآن للآجري ص(١٦٩) بتحقيق/ محمد عمرو عبد اللطيف – دار الباز – مكة المكرمة (بتصرف) .

(٣) سورة العنكبوت آية: (٤٩) .

الأمر عند حفظ القرآن في الصدور فحسب بل اقتضت حكمة الله عز وجل أن يتم حفظ القرآن الكريم في الصدور والسطور معًا، هذا وقد ورد في القرآن والسنة الحث والترغيب على حفظ القرآن الكريم بأساليب مختلفة منها:

(أ) الوعد الرباني بتيسير الحفظ: فقد سهله الله للحفظ وأعان عليه مَنْ أراد حفظه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [1].

(ب)الأجر والمكانة العظيمة في الآخرة: قال رسول الله ﷺ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا"[2] فالحفظ من أسباب رفع الدرجات في الجنات وحافظ القرآن له كرامة يوم القيامة يميزه الله بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يَجِيءُ صاحب الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَة فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّه، فَيُلْبَسُ تاجَ الْكَرَامَة، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرضَى عَنْهُ فَيُقَالُ: اقْرَأ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً" [3] ومن جميل ما قال الإمام الشاطبي في هذا المعنى:

هنيئًا مريئًا والداك عليهـما ملابس أنوار من التاج والحلا

---

(١) سورة القمر آية: (١٧) .

(٢) الحديث رواه عبد الله بن عمرو وهو في سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر حديث رقم (٢٩١٤) ج٥ ص١٦٣. "سنن الترمذي" وقال: هذا حديث صحيح. تحقيق أ/ أحمد شاكر، ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢/ ٥٥٢) كتاب فضائل القرآن – باب أخبار في فضائل القرآن جملة حديث (٢٠٧٣) مسألة (٨٢٩) يلبس صاحب القرآن تاج الكرامة يوم القيامة وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه – ط دار المعرفة – بيروت ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

فما ظنكم بالنجل عند جزائه أولئك أهل الله والصفوة الملا[١]

هذا بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية الكبيرة لحافظ القرآن الكريم منذ عهد النبوة، ومجتمع الصحابة وإلى أن تقوم الساعة فعن أنس رضي الله عنه قال:"كَانَ الرَّجُلُ إِذَا حَفِظَ الْبَقَرَةَ وآلَ عِمْرَانَ جَدَّ فِي أَعْيُنِنَا"[٢]. أي عظمت نظرتنا له، وارتفعت مكانته بيننا...

ثالثًا: التدبر والتعلم :

ومعنى تدبر القرآن: هو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه وإدراك معانيه، ومعرفة شرائعه وأحكامه، واليقين بهاوالخضوع لها.

والتدبر المطلوب يشتمل على جملة أمور:

١-معرفة معاني الألفاظ القرآنية ودلالتها.

٢- فهم المعنى العام للآيات وسياقها والتراكيب والجمل الواردة فيها.

٣- التأمل في براهين وحجج القرآن والاعتبار بها والاستفاد منها.

٤- التأثر القلبي باليقين والخشوع واستجابة الجوارح بالامتثال والخضوع.

وتدبر القرآن غاية عظيمة وهدف أساسي من تنزيله كما جاء ذلك التصريح بذلك بقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٣].

---

(١) الوافي في شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضي ص(١١) ، ط المعاهد الأزهرية – نشر مطبعة عبد الرحمن محمد القاهرة.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٣، ص(١٢٠-١٢١) ، ط دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ الطبعة الرابعة بتحقيق أ/ أحمد شاكر – وشرح السنة للبغوي (١٣/ ٣٠٦) تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش وقد قال عنه شعيب الأرنؤوط :"إسناده صحيح علي شرط الشيخين " – رئاسة البحوث العلمية – الرياض ط أولى ١٤٠٠هـ.

(٣) سورة ص آية: ٢٩.

والتدبر والفهم مفتاح العمل والامتثال ومن هنا تبرز أهمية التدبر ومن ثم اعتنى بالتنبيه عليه العلماء حتى قال ابن القيم:" لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر"[1].

ومن أجمع الأحاديث التي وردت في بيان ثواب الاجتماع على تدارس القرآن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

فجمع هذا الحديث أربعة أنواع من ثواب تلاوة القرآن ومدارسته:

(أ)تنزل عليهم السكينة.

(ب)تغشاهم الرحمة.

(ج) تحفهم الملائكة.

(د)يذكرهم الله فيمن عنده

ومَنْ منا لا يحرص على كل واحدة منها فضلا عنها كلها، كيف وقد اجتمعت كلها في عمل واحد ميسر، وفي هذا ندب لتعلم القرآن الكريم ومعرفة علومه وأحكامه ومعانيه ..

رابعًا : العمل والتخلق

حافظ القرآن والتالي له ليس كغيره من الناس، بل هو من أشرف الناس لهذا ينبغي أن يكون متميزًا بهذا القرآن الذي حفظه وذلك بالعمل بأوامره والانتهاء عما نهى عنه، والتخلق بأخلاقه والتحلي بآدابه وليكن له في الرحمة المهداة ﷺ الأسوة والقدوة فقد أوجزت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها القول عندما سئلت عن خلقه فقالت:" كان خلقه

(١) راجع: مفتاح دار السعادة لابن القيم ص(٢٢١) .

(٢) الحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة: جـ٤، ص٢٠٧٤.

ﷺ القرآن"[١].

ومن المعلوم أن العمل هو المقصد:"﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾[٢]، والمطلوب من القرآن فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين[٣].

هذا، وقد ربط الله تعالى بين تلاوة القرآن والعمل به فقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ ﴾[٤] وقال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾[٥]

وكان الرسول الكريم ﷺ يربي أصحابه على العلم والعمل فكان يلقنهم القرآن ليتقنوا تلاوته ويفسره لهم؛ ليفهموا معناه ويبين أحكامه ليعملوا به وقدوتهم في ذلك وشاهد ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه:«كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»[٦] وروى أبو عبد الرحمن السلمي، قال:«حَدَّثَنَا الَّذِينَ، كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَقْرَئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُخْلِفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»[٧].

---

(١) تقدم تخريجه ص (٤)

(٢) سورة التوبة آية (١٠٥) .

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٢٣/ ٥٤) دار المعرفة بيروت.

(٤) سورة الأنعام آية: (١٥٥) .

(٥) سورة البقرة آية: (١٢١) .

(٦) تفسير الطبري(١/ ٨٠) ، ط دار المعارف بمصر، تحقيق أ/ أحمد شاكر.

(٧) المصدر السابق نفسه.

ومن هنا يتضح بجلاء أن من الواجب نحو كتاب الله – وخاصة لقرائه وحفاظه- أن يعملوا به ويكونوا مصاحف تمشي على الأرض وترجمة عملية لأحكام القرآن وأخلاقه. وأن يكونوا النماذج الطيبة التي تسبق إلى كل خير وتسمو إلى كل مكرمة، وتبادر إلى المزيد من الطاعات والقربات.

خامسًا: الدعوة والتعليم

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالدعوة إليه وهدى الناس إلى صراطه المستقيم وأمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] وكانت مهمة الرسل الأولى الدعوة إلى الله وقد كان نبينا محمد ﷺ يعلم أصحابه القرآن ويدعو الناس لهذا الدين وقد أشار الحق سبحانه لهذه المهمة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[2] ولقد علق النبي ﷺقلوب أمته بكتاب الله تعالى وحثهم على تدبر آياته، فأدرك الصحابة – رضي الله عنهم- شرف وعظمة هذه المهمة المباركة وبادروا إلى تعليم الناس القرآن ودعوتهم إليه فقد كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم نصبوا أنفسهم للإقراء وتعليم الناس القرآن في مسجد رسول الله ﷺولم يكتف الصحابة رضي الله عنهم بإقراء القرآن في المدينة بل خرجوا إلى البلاد التي فتحها المسلمون يعلمون أهلها القرآن كما يقول ابن تيمية – رحمه الله-: وَأَمَّا "التَّفْسِيرُ" فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ; لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمُجَاهِدِ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَعِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ

(١) سورة آل عمران آية (١٠٤) .

(٢) سورة الجمعة آية (٢) .

أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَطَاوُوسٍ وَأَبِي الشَّعْثَاءِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَمْثَالِهِمْ. وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنْهُ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمِنْ ذَلِكَ مَا تَمَيَّزُوا بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ. وَعُلَمَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي التَّفْسِيرِ مِثْلُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ"[1].

ولم يكن تفسير هؤلاء وغيرهم من الصحابة والتابعين مقتصرًا على علم التفسير بمعناه الخاص، بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني ونحو ذلك.

هكذا كان حال سلفنا الصالح مع القرآن تعليمًا ونشرًا ودعوة إليه فهلا نتأسى نحن الخلف بالسلف حتى نسعد كما سعدوا ونفوز كما فازوا.

(١) راجع: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٦١) ، تحقيق/ د. عدنان زرزور- دار القرآن الكريم – الكويت، ط أولى ١٤٠٥هـ.

المبحث الثاني

أسباب تعين على تدبر آيات الذكر الحكيم والتفكر في معانيه

هناك جملة من الأسباب والسبل التي تعين القارئ لكتاب الله تعالى على تدبر آياته واستخراج كنوزه ودرره، وهذه خطوات يسيرة مقترحة تعين على حصول التدبر والوصول إليه منها:

أولاً: علم العبد يقينًا أن الله أنزل القرآن للتدبر والتعبد بتلاوته:

بينا سالفًا أن تدبر القرآن الكريم غاية عظيمة وهدف أساسي من تنزيله كما صرَّح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] ولذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:" ولِهَذَا أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ لِيُتَدَبَّر ويُتَفكَّر فيه، ويُعمَلَ بِهِ، لَا لِمُجَرَّدِ التلاوة مع الْإِعْرَاضِ عَنْهُ» [2]، وقال – رحمه الله – أيضًا: " تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، هُوَ الْمَقْصُودُ من إِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ التلاوة بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ "[3].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : "إِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِلتَّدَبُّرِ والتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيْهِ لَا لِمُجَرَّدِ التِّلاَوَةِ بِدُونِ تَفَكُّرٍ "[4]. كما أنه يجب على العبد التيقن بأن الله تعالى قد تعبدنا بتلاوة القرآن الكريم ورتب الثواب الجزيل على قراءته

---

(١) سورة ص آية (٢٩)

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢١٥) .

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم(١/ ٤٥١) بتصرف تحقيق/ محمد حامد الفقي – دار الكتاب العربي (١٣٩٢هـ) .

(٤) فتح القدير للشوكاني(٤/ ٤٣٠) بتصرف – ط مكتبة المعارف.

وتلاوته كما وضحنا سابقا- ويكفي قارئ القرآن العظيم شرفًا في الحديث عن فضل تلاوته ما جاء في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

ولو لم يرد – كما وضحنا سابقًا- في فضل تلاوة القرآن إلا حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكفى به داعيًا للتنافس بين المسلمين في تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ:«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، لَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[2].

فليتنا نعي هذا الفضل العظيم من الله تعالى لقارئ القرآن الكريم وأن الله تعالى قد تعبدنا بتلاوة كتابه العزيز، فإذا ما علم العبد أنه حين يقرأ حرفًا من كتاب الله عز وجل – فإنه يناجي ربه تعالى ويثاب على تلك القراءة وفي عبادة وطاعة لله ـ عز وجل – ما مضت عليه ساعة واحدة دون أن يقرأ شيئًا من كتاب الله – تبارك وتعالى- ولكان هذا الثواب الجزيل دافعًا للعبد للتعايش مع كتاب الله تعالى وتدبر آيات الذكر الحكيم.

ثانيًا: تحسين الصوت بالقرآن والتغني بالقراءة مع التنزيل

فإن الصوت الحسن يحدث أثرًا في النفس ويزيد الخشوع والتدبر، وقد أمر الله عز وجل بحسن التلاوة والترتيل فقال تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[3]،وقال رسول الله ﷺ :"لَيْسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ

(١) سورة فاطر آية: (٢٩-٣٠) .

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) سورة المزمل آية: (٤) .

بِالْقُرْآن"[1] وقد قال العلماء: "والترتيل مستحب للتدبر وغيره"[2]، وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على جودة التلاوة ويمتدحهم بذلك ويحرص على سماع تلاوتهم فقد قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه:«لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[3]، واستمع لتلاوة سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما فقال له: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ"[4].

قال ابن كثير – رحمه الله-: "المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد والطاعة"[5]. ويقول القرطبي رحمه الله : "الترتيل أفضل من الهذ، إذ لا يصح التدبر مع الهذ"[6]، وقال السيوطي رحمه الله: "تُسنُّ القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم"[7].

وبناءً عليه: فإن سلامة التلاوة وإتقان التجويد وحسن الصوت مما يزيد الفهم ويكمل الإدراك ويعين على التدبر والخشوع والانقياد، وإذا اختل النطق بالكلمة أو بإعرابها فإن المعنى يتغير أو يكون ناقصًا أو غير

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص(٨٨-٨٩) تحقيق/ محمد الحجار – دار ابن حزم.

(٣) الحديث في صحيح مسلم جـ١، ص(٥٤٦) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي – رئاسة البحوث العلمية الرياض ١٤٠٠هـ.

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٦، ص(١٦٥) وحسنه الأرنؤوط لغيره وقواه الألباني بشاهد.

(٥) فضائل القرآن لابن كثير (١٢٥) ، ط دار الأندلس.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٩٢) تحقيق أحمد البردوني – مكتبة الرياض – ط ثانية.

(٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٤٠) ، ط دار المعرفة – بيروت.

بين، وكل ذلك ككا يبعد القلب عن التدبر وتفهم الآيات... وقد قال السيوطي – رحمه الله-: "... والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط..." [١].

كما أن تحسين الصوت بالقرآن يكون أوقع في النفوس وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه بل له أثر عظيم في رقة القلوب، وقد قال السيوطيرَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك أيضًا: "ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليه للحديث الصحيح"[٢]. وقد قال النووي: "وأجمع العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من السلف والخلف والتابعين ومن بعدهم على استحباب تحسين الصوت بالقرآن"[٣]، ويقول القرطبي في شرح الحديث:"أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن، وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به وذلك لأنه إذا حسَّ الصوت به كان أوقع في النفوس واسمع في القلوب..." [٤]. وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : "قال ابن البطال: وقالت طائفة: التغني بالقرآن: هو تحسين الصوت به والترجيع بقراءته. قال: والتغني بما شاء من الأصوات واللحون هو قول ابن المبارك والنضر بن شميل ... وذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه: أنهم كانوا يستمعون القرآن بالألحان. وقد قال محمد بن عبد الحكم: رأيت أبي والشافعي ويوسف بن عمر يستمعون القرآن بالألحان وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

وقالوا لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٣٢) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(١/ ١٤٢) .

(٣) راجع: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (٧٧) ، ط مكتبة القرآن. تحقيق مجدي إبراهيم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١١) تحقيق أحمد البردوني – مكتبة الرياض ط، ثانية.

النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون علي المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء... لا تخرج الكلام عن موضعه، ولا تحول بين السامع وبين فهمه، ولو كانت متضمنة لزيادة الحروف كما ظن المانع منها لأخرجت الكلمة عن مواضعها، وحالت بين السامع وبين فهمها، ولم يدر ما معناها والواقع بخلاف ذلك... وفصل النزاع أن يقال: التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف، ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خلى وطبعه، واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا"[1]. فهذا هو الذي كان السلف – رضوان الله عليهم يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود وهو الذي يتأثر به التالي والسامع...

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع... كما يتعلم أصوات الغناءبأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة... فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها... وكل من علم بأحوال السلف يعلم قطعًا أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى

(١) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٧٠) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف- وقال الحافظ ابن حجر:"ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم أن أبا موسى الأشعري قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي ﷺ صوته، وكان حلو الصوت فقمن يستمعن فلما أصبح قيل له، فقال لو علمت لحبرته لهن تحبيرًا". فتح الباري (٩/ ٨١) ط دار المعرفة ترقيم عبد الباقي – إشراف / الخطيب.

المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوه بها ويسوغوها ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤون بالتخزين والتطريب، ويحسِّنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشرع، مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب وأخبر عن سماع الله لمن قرأ به"[(١)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب: "ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنيم أكثر من ميلها لمن لا يرنم لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز قراءة القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع فيه"[(٢)].

وأضيف إلى ما تقدم: أنه من المتفق عليه بين أهل العلم أن تحسين الصوت بقراءة القرآن والترجيع والتطريب بقراءته والتغني بالقراءة كما كان يفعل أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدعى إلى الاستماع والإصغاء والتدبر فالنفس تنشرح بالصوت الحسن وتقبل عليه لكن هذا مشروط بالالتزام بسلامة التلاوة وإتقان التجويد فإن سلامة النطق تزيد الفهم وتعين على التدبر. أما إذا زاد الأمر في هذه المسألة بحيث لا يفهم من القارئ معنى القرآن واختل النطق بالكلمة أو بإعرابها وترتب عليه تغيير المعنى والبعد عن التدبر فذلك حرام باتفاق كما يفعله بعض القراء الذين ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله[(٣)].

---

(١) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١/ ٤٨٦-٤٩٣) بتصرف ط مؤسسة الرسالة.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٢) .

(٣) راجع: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٩٧) مؤسسة الرسالة – وزاد المعاد (١/ ٤٥٢) بتصرف.

ثالثًا: تفريغ النفس من الشواغل المانعة من التلاوة والتدبر:

وذلك باختيار الوقت المناسب الفارغ من الأعمال والصوارف كالوقت بعد صلاة الفجر أو صلاة الليل والقراءة في جوف الليل، مع اختيار المكان المناسب البعيد عن الضوضاء وأحاديث الناس كالقراءة في المسجد أو في غرفة هادئة في المنزل ...، وقد حثنا القرآن الكريم على قراءة القرآن في جوف الليل قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴿٦﴾ ﴾ [1] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وقوله "وأقوم قيلا" أي أدنى من أن تفقهوا القرآن"[2]، ويقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان:" المقصود من التلاوة الحضور والفهم لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية"[3]، وهناك من الشواهد ما يدل على اقتران قراءة القرآن بالليل وأن القراءة فيه أدعى للتدبر والتأمل، منها قوله تعالى: ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [4] وقوله ﷺ في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"[5]. وقوله ﷺ عن

---

(١) سورة المزمل آية: (٦) .

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٧) ط دار المعارف بمصر – تحقيق أ/ محمود شاكر.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٥) ط دار المعرفة بيروت.

(٤) سورة آل عمران آية: (١١٣) .

(٥) صحيح البخاري جـ٩ ص٦٥ ط المكتبة الإسلامية – استنبول – تركيا ١٩٧٩م – وفي صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٥٥٨) ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض- ١٤٠٠هـ.

شفاعة القرآن يوم القيامة لصاحبه: "فيقول القرآن منعته النوم بالليل"[(١)].

وقد كان ﷺ يقرأ القرآن في صلاة الليل ويطيل القراءة ليتدبره أصحابه ويفقهوه جيدًا؛ فعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ:"صلى بالبقرة ثم النساء ثم بآل عمران في ركعة"[(٢)].

رابعًا: مما يعين على التدبر أيضًا : الاستعاذة والإنصات عند سماع القرآن :

إن من السبل والأسباب التي تعين المسلم على قراءة القرآن بخشوع وتدبر أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند بداية القراءة ؛ حتى يفرغ قلبه من الوساوس ومن همزات الشيطان الرجيم الذي يحرص على عدم وصول نور القرآن الكريم وهديه إلى القلب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[(٣)]

ومعلوم أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان إذا تلا القرآن الكريم، ومن أجل ذلك فقد أمر الله تعالى بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن، وفي ذلك جملة من الفوائد وهي:

(أ) أن القرآن شفاء لما في الصدور فتكون الاستعاذة تنقية لما في القلب مما ألقى الشيطان من الشرور.

(ب) أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع له وتثبت القلب بالسكينة، والاستعاذة تطرد الشياطين.

(ج) أن الشيطان يشغل القارئ ويقبل عليه في الصلاة – وفي غيرها- بِخَيْلِهِ ورَجْلِهِ، فيحرص جهده على أن يحول بين القلب وبين

---

(١) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان – قال الهيثمي إسناده حسن. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي (٤/ ٢٥٢) ط دار المعرفة – بيروت.

(٢) صحيح مسلم جـ١ ص(٥٣٦-٥٣٧) .

(٣) سورة لنحل آية (٩٨) .

مقصود القرآن وهو تدبره وتفهمه والتأثر به، والاستعاذة تدفع ذلك.

(د) أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن ، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره بل الاستعاذة مقدمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة فإذا سمع السامع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله تعالي .

(هـ) أن الاستعاذة تمنع الشيطان من أن يفسد ما في القلب من الهدى والنور والعلم والخير بتفهم القرآن وتدبره[1].

كذلك مما يعين المسلم على تدبر آيات الذكر الحكيم الإنصات عند سماع القرآن والخشوع واستحضار القلب والتفكر والتدبر فيما يُسمع من الآيات وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال سبحانه:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[2]

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : "أمرهم الله –سبحانه- بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح"[3]. وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : "وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن"[4]. لصلاح قلوبها، وثباتها على الهدى والدين.

خامسًا: تخصيص ورد قرآني للتدبر مع تكرار التلاوة وحضور مجالس التفسير :

وتفصيل ذلك: أن مما يعين على تدبر القرآن الكريم أن يجعل المسلم قدرًا يسيرًا من تلاوته اليومية خاصًا بالتدبر، فعلى سبيل المثال

---

(١) راجع ذلك بالتفصيل في: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم بتصرف (١/ ١٠٩) ط دار المعرفة – بيروت.

(٢) سورة الأعراف آية (٢٠٤) .

(٣) راجع: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٨٠) مكتبة المعارف بمصر.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢) تحقيق/ عدنان زرزور ط٣ سنة ١٣٩٩هـ - دار القرآن الكريم.

إن كان يقرأ جزءًا كل يوم فعليه أن يخصص صفحة منه للتدبر فيها وفهم معانيها وليكن السبيل لتحقيق تلك النقطة السابقة القراءة المستمرة في تفسير معتمد مختصر أو في كتاب موثوق مختص بمعاني كلمات القرآن مع تكرار التلاوة والمراد تكرار بعض الآيات التي تستشعر الخشوع عند تلاوتها وتستحضر عظمة معانيها والحرص على ذلك، فإن المصطفى ﷺ قام بآية حتى أصبح يرددها وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [(١)] والحديث رواه أبو ذر رضي الله عنه [(٢)].كذلك مما يعين على هذا التدبر حضور مجالس التفسير والمقصود الحرص على تعلم كل ما يتصل بالقرآن بقدر الطاقة، وذلك بحضور دروس التفسير وحِلق تلاوة ومدارسة القرآن مع أهل العلم والفضللما فيها من التذكير والتعليم والإعانة على التدبر والخشوع ومن هنا عكف الصحابة على مدارسة القرآن وتفسيره والعمل به وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل وكان الرسول ﷺ يحثهم على تلاوة القرآن ومدارسته والجلوس للاستماع إليه وتدبره وفهمه فقد قال ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه:" اقرأ عليَّ القرآن" فقال ابن مسعود يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري" فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[(٣)] قال:

(١) سورة المائدة آية (١١٨) .

(٢) الحديث رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين: من كتاب الإمامة وصلاة الجماعة (٣٤٦) قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها حديث (٩١٤) جـ١ ص(٥١٢) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه – "المستدرك على الصحيحين ط دار المعرفة – بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) سورة النساء آية (٤١) .

"حسبك الآن" قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان"[1].

فهذا يدل على أن النبي الكريم ﷺ ذرفت عيناه الشريفتان حين سمع الآية وتدبرها وتعايش معها وتذكر هذا اليوم العظيم حين يشهد النبي ﷺ لجميع الأنبياء أنهم قد بلغوا رسالة ربهم إلى أممهم، وفعل الصحابة رضي الله عنهم ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون ويبكون، وكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم يقرأ والباقي يستمعون"[2].

هذا، وقد ذكرنا سالفًا أن من أجمع الأحاديث التي وردت في الحث على مدارسة القرآن وبيان ثواب الاجتماع لتلاوته حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[3]. ففي هذا حض وحث على الاجتماع لتعلم القرآن وتدبر آياته ومعرفة أسراره وحكمه وكنوزه ودرره واسراره التي لا تنتهي أبدًا، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تخصيص ورد للتدبر مع ترداد الآية وتكرارها كما أسلفنا فقد كانت هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح[4]، وقد قام تميم الداري رضي الله عنه بآية حتى أصبح وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[5] وكذلك قام بها الربيع بن خيثم[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٣) كتاب تفسير القرآن – سورة النساء قوله "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد..." ط المكتبة الإسلامية – استنبول – تركيا ١٩٧٩م.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٨٥) .

(٣) تقدم تخريجه

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم(١/ ٢٢٢) .

(٥) سورة الجاثية آية: (٢١) .

ولا شك أن تكرار الآية من صور الوقوف على المعاني وما يتعلق بها من حكم وأسرار وإرشادات ومواعظ لا يبصرها إلا أولوا النهى.

سادسًا: الترسل بالقراءة والنهي عن العجلة:

لا شك أن التأني في القراءة وعدم الاستعجال من أبرز ما يعين القارئ عل يالتدبر والتعقل لما يقرأ، ومن دلائل التأني في القراءة أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل عام مرة في شهر رمضان وعارضه إياه في العام الذي توفي فيه مرتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي"(٢). قال ابن حجر رحمه الله: "ويحتمل أنه ﷺ كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءًا في جزء من الليلة"(٣). ووصف أنس رضي الله عنه قراءة النبي ﷺ فقال: "كان يمد مدًا"(٤). فينبغي على المسلم أن يقرأ القرآن بتدبر وتمعن وفهم لما يتلوه ولا يكن كل همه نهاية السورة. وكم قرأ؟ فقد ذم السلف التعجل في القراءة فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لا تهذوا القرآن كهذ الشعر... ولا يكن هم أحدكم آخر السورة" وقد قال أبو حمزة: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث. قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلىَّ من أن أقرأ كما تقول"(٥).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٦٨) تحقيق/ شعيب وعبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان ١٣٩٨هـ.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم(١/ ٢٢٢) .

(٣) الحديث في صحيح البخاري جـ٤ ص(١٨٣) ط المكتبة الإسلامية – استنبول.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٥) ط دار المعرفة بيروت ترقيم / عبد الباقي.

(٥) سبق تخريجه.

ومما هو متمم للفائدة: أن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر عادات السلف في ختم القرآن وذكر من كان يختمه في سبع وقال: "وهذا فعل الأكثرين من السلف" ثم عقب السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: "وهذا أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم" وفي الحديث "لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث [1]." والمقصود أن من قرأالقرآن في أقل من ثلاث لم يفقه يفقه ،أي لم يفهم ظاهر معانيه في هذه المدة ،ولم يحسن الابتداء والوقف ولم يكن له حظ من تذوق معاني الآيات أوالتعايش معها.

يقول النووي: "وينبغي للقارئ إذا بدأ من وسط السُّور أو وقف على غير آخرها أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام، كالجزء الذي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[2]، ولا يغتر بكثرة الفاعلين له من القرَّاء الذي لا يراعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني؛ ... ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سور طويلة بقدر القصيرة، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال"[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة

---

(١) راجع في ذلك: أخلاق أهل القرآن للآجري تحقيق/ محمد عمرو عبد اللطيف ص(١٦٩) . والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي تحقيق / عبده الكوشك ص(١١٩) والحديث رواه عبد الله بن عمرو وأخرجه الترمذي في الجامع الكبير ح (٢٩٤٩) مج(٥) ص (٦٤) أبواب القراءات باب (١٣) ق د/ بشارمعروف ط أولي دارالغرب الاسلامي ١٩٩٦ م

(٢) سورة النساء آية (٢٤) .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (٨٢) تحقيق / مجدي إبراهيم – مكتبة القرآن.

الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم الله به، وتكميل المقصود من كل سورة، ما ليس في ذلك التحزيب"[١]. أي أنه ينبغي مراعاة ارتباط الكلام بعضه ببعض والوقوف علي ما يحسن السكوت عليه .

ولعل أقرب الأقوال في ذلك قول من كره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا لئلا يخرج عما مضت به السنة، وعادة السلف من الصحابة والتابعين"[٢].

وأضيف إلى ما سبق: أن علم الوقف والابتداء من الموضوعات التي لا بد لقارئ القرآن الكريم أن يعرفها ويتدبر قواعدها إذ بها يعرف المراد من الكلام، ويتبين المغزى من فصيح اللسان، ويتيسر على السامع فهم ما يتلى علي من آيات وأحكام وبه تعرف المنازل التي يصح أن يقف عليها القارئ الهمام وذلك حتى لا يختل المعنى بوقف قبيح أو غير جائز يصرف القارئ أو المستمع عن التدبر.

ومن المعلوم أنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل، فالوقف حلية التلاوة وزينة القارئ وبلاغ التالي وفهم للمستمع وشرف للعالم وبه يعرف المعنيين المختلفين، والحكمين المتغايرين.

سابعًا: تذوق معاني الآيات والتعايش معها :

أقول: إن من أعظم سبل تدبر القرآن الكريم وإن لم يكن شرطًا له – تذوق معاني الآيات والتعايش معها، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم السبق في هذا الباب فكان لهمأعظم النصيب وأوفر الحظ من تدبر القرآن الكريم وذلك "لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، فحصل لهم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٤٠٥-٤١٤) تحقيق / عبد الرحمن القاسم – الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

(٢) الفتاوى (١٣/ ٤١٣) .

الفهم التام، والعلم الصحيح"[1].

فلقد كانت الآيات تنزل في أمور باشروها بأيديهم أو أبصروها بأعينهم أو خاضوا غمارها فعاشوا حلوها ومرها، وفرحها وحزنها، وتكبدوا معاناتها، وأدركوا ملابساتها، فكانت الآيات تقع في قلوبهم مواقعها، فعنها يصدرون، وإليها يردون ورود الظامئ إلى الماء البارد، "إن هذا الشعور يفتح لهم من القرآن آفاقًا... لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع، وكان ييسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف ويخلط القرآن بذواتهم، ويحوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي وإلى ثقافة متحركة لا تبقي داخل الأذهان، ولا في بطون الصحائف، إنما تتحول آثارًا وأحداثًا تحول خط سير الحياة . إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل"[2].

إن من تذوق معاني القرآن وتعايش معها بقلبه وجوارحه حين يقرأ أوصاف المؤمنين المتقين في القرآن والجزاء الأوفى الذي أعده الله لهم يسأل الله تعالى أن يكون منهم، وحين يقرأ في كتابه تعالى ما توعد الله به المكذبين والكافرين من العذاب الأليم يسأل الله تعالى أن لا يكون منهم، وحين يأمره الله تعالى باتباع هديه وشرعه وما كلفه به يكون لسان حاله "سمعنا وأطعنا"، وحين ينهاه الله تعالى عن اتباع سبل الضلال والغواية واجتناب ما نهى عنه يلتزم بذلك ويردد مع السابقين الأولين: "سمعنا وأطعنا"، وحين يسمع أو يقرأ في القرآن قصص الأنبياء والمرسلين وحالهم مع أممهم وأقوامهم يأخذ العظة والعبرة... إلخ

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام (٩٥) تحقيق/ عدنان زرزور – دار القرآن ط٣ سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) راجع: تدبر القرآن للشيخ سلمان السنيدي ص(٩٧) ط ثانية ١٤٢٣هـ مجلة البيان – فهرسة مكتبة الملك فهد – الرياض.

ذلك مما حواه القرآن الكريم من آيات بينات تستوجب التدبر والتعقل والإصغاء والتأمل.

يقول الزركشي في برهانه: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر فإذا كان العبد مصغيًا إلى كلام ربه، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرًا إلى قدرته، تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئًا من حوله وقوته، معظمًا للمتكلم، مفتقرًا إلى الفهم، بحال مستقيم، وقلب سليم، وقوة علم، وتمكن سمع لفهم الخطاب، وشهادة غيب الجواب، بدعاء متضرع، وابتئاس وتمسكن وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكل من الوعد بالتشوق، والوعيد بالخوف والإنذار بالتشديد فهذا قارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[البقرة] وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾ (١) انتهى"(٢).

وينبغي للتالي أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ويتفهم ذلك، فإذا تلا قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام] فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يريد، وإذا تلا قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الواقعة] فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء كيف تنقسم إلى لحم

(١) سورة الأحزاب آية (٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٩٧) ط دار الفكر الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

وعظم، ... وإذا تلا أحوال المعذبين فليستشعر الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر، وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السمر بل العبر فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتبه سيده بمقصود، وليتأمل الكتاب وليعمل بمقتضاه"[(١)].

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ :" فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عباراته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه"[(٢)].

ووصف السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ الوقوف عند المعاني بقوله: "أن ينشغل قلبه بالتفكر في معنى ما بلفظ به، فيعرف كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ أو تنزيه نزّه وعظم أو دعاء تضرع وطلب"[(٣)].

وأقول: من هذا المنطلق ينبغي على القارئ أن يجمع عند الوقوف على المعاني بين معنى اللفظ والمعنى المقصود في الآية ويعلم أن هذا المعنى المقصود إنما سيق لهداية الخلق أجمعين فمن استشعر ذلك أقبل على تدبره وتفهمه وكان شغله الشاغل أن يسأل نفسه: كم مرة تأثرت بالقرآن؟ بدل أن يسأل: كم مرة ختمت القرآن؟

ثامنًا: تصور حال الدعوة عند نزول الآيات :

ومن لم يتمكن من العيش مع معاني القرآن كلها، وما فيها من بذل وعطاء وتضحية وجهاد ودفاع عن الحق ومواجهة للباطل فلا أقل من أن

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٦٨) ط مكتبة دار البيان ١٣٩٨هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢) ط مكتبة الرياض.

(٣) الإتقان للسيوطي (١/ ١٤٠) .

يستحضر ويتصور حال الدعوة الإسلامية وقت نزول الآيات فحينها سوف تتغير نظرته وتعامله مع تلك الألفاظ، و ستصبح في ذهنه حية متحركة وهو يتصور أثرها على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة رضي الله عنهم فكم من سور مكية قصيرة كانت بردًا وسلامًا على قلوب الصحابة وفتحًا لآفاق عظيمة في نفوسهم وهم يواجهون الجاهلية بظلمها وتهديدها ومكرها وكيدها وإن قلوبهم لتخفق فرحًا وسرورًا مع كل كلمة وإن نفوسهم لتزيد إيمانًا ويقينًا مع كل آية على الرغم من قصرها ولك أن تتصور الآيات التي قصها الله عما جرى للأنبياء من الأذى والكيد مهم يواجهون المشهد يتكرر أمامهم فما يقال لهم إلا ما قد قيل للرسل وأتباع الرسل من قبل، ولك أن تنظر إلى ما يجول في قلوبهم وهم يسمعون وعد الله بالنصر وحسن العاقبة وهم ما زالوا في مكة لم يشهدوا بدرًا ولم يخوضوا القادسية[1].

ومما لا شك فيه أن تصور حال الدعوة حين نزول الآيات هو المقصود الأهم في معرفة أسباب النزول ومعرفة أن الآيات مكية أو مدنية، فمن المعلوم أن سبب نزول آيات القرآن الكريم كلها هو هداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم وهذا هو السبب العام الذي نزلت لأجله أكثر آيات القرآن لكن هناك آيات تزيد على هذا السبب العام بسبب خاص مرتبط بها وحدها دون غيرها، كذلك عني العلماء عناية فائقة بمعرفة مكان النزول وزمن النزول كما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها، واستقصاء مدلولاتها، ولا شك أن معرفة مكان النزول يعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها وما يرد فيها من إشارات أحيانًا فإن تذوق أساليب القرآن مما يعين على تدبر آيات الذكر لاحكيم ويستفاد منها في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى فهو أسلوب يشتد ويلين ويفصل ويجمل، ويعد ويتوعد

(١) تدبر القرآن للشيخ سلمان السنيدي (١٠٠) بتصرف.

ويرغب ويرهب ويوجز ويطنب حسب أحوال المخاطبين وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به – سبحانه– منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله"[1].

فالنظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه خصوصًا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها[2].

وهناك معنى عظيم لا يستفاد إلا من تصور حال الدعوة عند نزول القرآن هو تأمل حال الصحابة وهم في دور مكة يتلون الآيات التي تصف كفار قريش ولك ان تتخيل خفض أصواتهم وحذرهم الشديد وهم يتداولون سورة (المسد) وقلوبهم تخفق ترقبًا أن يتهم أحدهم بتعليم هذه السورة، وهم يشعرون في الوقت نفسه بالاستعلاء وعزة الإيمان حين يرددون كلام الله وفيه تهكم برموز الجاهلية، ويتكرر هذا الشعور بتكرر المشهد حين تتصور تلقيهم لآيات أخر تلمز الكفار أو تتهكم بعقولهم أو تحقر من شأنهم كما في سورة العصر أو الكوثر أو الهمزة أو المدثر.

---

(١) الفوائد لابن القيم(١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٢) ط مكتبة الرشد – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على تدبر آيات الذكر الحكيم

مما لا شك فيه أن هناك آثارًا محمودة متوقفة على تدبر آيات الذكر الحكيم، وإذا فقد التدبر امتنع حصولها أو يكاد أن يمتنع أو أن هذه الفوائد والآثار يتوقف حصولها على التدبر وجودًا وعدمًا، ومن هذه الآثار والفوائد:

١- زيادة الإيمان وعظم الأجر والثواب:

إن أجلّ الآثار المحمودة للتدبر زيادة الإيمان كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال]وليس ذلك فحسب بل جاء في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر] فهنا بين الله جل وعلا أن التدبر أورثهم رقة القلوب وانتفاعها بذكر الله وكلامه، ومعلوم أن في القرآن – مع التدبر- ما يروي ظمأ القلوب ويسد حاجتها، وأن الإعراض وترك التدبر يفضي إلى قسوتها: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد] وفي حديث المصطفى ﷺ مزيد إيضاح حيث قال: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[(١)]، هذا وقد ورد في القرآن

(١) تقدم تخريجه.

مدح كثير وثناء كبير على المتدبرين لكتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[1] وقال في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾[2] ومما أكد عليه أهل لعلم أن الأجر والثواب على التلاوة يرجى بأداء التلاوة ولكن عظم الثواب إنما يرجى بمزيد الفهم والتدبر والتأمل والاعتبار بما يتلوه القارئ، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "فإن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات وقد يكون العكس"[3].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "اعلم أن التلاوة أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بفهم"[4]، وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وأحسن بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجل قدرًا، وثواب الكثرة أكثر عددًا"[5]، وقال عن إعراب القرآن: "المراد بإعرابه: معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها"[6].

وأقول يفهم مما تقدم: أن التدبر والفهم الجيد مع قلة القراءة أولى وأفضل من السرعة مع كثرتها.

٢- شفاء القلوب وحصول البركة والخيرات من الآثار العظيمة لتدبر آيات الذكر الحكيم:

---

(١) سورة مريم آية (٥٨) .

(٢) سورة الفرقان آية (٧٣) .

(٣) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨٩) إشراف: الخطيب، ترقيم: عبد الباقي ط دار المعرفة، بيروت.

(٤) الأذكار للنووي ص(٨٥) .

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٤٠) ط دار المعرفة – بيروت.

(٦) المصدر السابق (١/ ١٤٩) .

يقول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[١] وقال أيضًا: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[٢] وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٣] وتدبر وصف الله تعالى للقرآن بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء لأن الشفاء هو ثمرة الدواء والهدف منه ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التدبر والفهم الصحيح لآيات الذكر الحكيم، أما الدواء فقد يفيد وقد يضر فكان وصف القرآن بأنه شفاء تأكيد وأي تأكيد لثمرة التداوي به.

والقرآن شفاء للأمراض النفسية، وما أحوج مجتمعاتنا المعاصرة إلى التداوي بالقرآن لهذا الداء الوبيل في عالم تتنازعه الأهواء المادية والشهوات الجسدية حين يعرض الإنسان عن القرآن وعن ذكر الله. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[٥] أما العلاج والشفاء فهو قرين الذكر: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٦] ولكن ينبغي أن نعلم أن الاستشفاء بالقرآن يستدعي كمال اليقين وقوة الاعتقاد وسلامته والتعقل والتدبر لما يقرؤه العبد من كتاب الله تعالى، ولذا قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستشفاء بالقرآن: "لن

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٢).

(٢) سورة فصلت آية (٤٤).

(٣) سورة يونس آية (٥٧).

(٤) سورة طه آية (١٢٤).

(٥) سورة الزخرف آية (٣٦).

(٦) سورة الرعد آية (٢٨).

ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره"[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : "ومَنْ أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثوره"[(٢)].

هذا، وإن الله تعالى وعد مَنْ استمع كلامه فأحسن الأدب عند استماعه بالاعتبار الجميل ولزوم الواجب لاتباعه والعمل به، ببشرى منه بكل خير ووعده على ذلك بأفضل الثواب فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٣)] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [(٤)] فكان حسن استماعهم يبعثهم على التذكير فيما لهم وعليهم[(٥)].

٣- توقف مدة ختم القرآن على مدى تدبره وفهمه :

إن من أهم آداب التلاوة أن يقرأ العبد القرآن بتدبر وتمعن وفهم لما يتلوه، وأن يحرص عل يالخشوع والوقوف على استنباط بعض من أسرار القرآن ودرره التي لا يمكن أن يصل إليها مع التعجل والسرعة في

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٤٣٦) ط دار الفكر الثالث ١٤٠٠هـ

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص(٣٨٤) الطبعة الثانية – السنة المحمدية.

(٣) سورة الزمر آية (١٧-١٨) .

(٤) سورة الأعراف آية (٢٠٤) .

(٥) أخلاق حملة القرآن للآجري ١٧، تح : فؤاد زمرلي ط . دار الكتاب العربي.

القراءة، فتحري التدبر والخشوع واستحضار القلب عند القراءة أولى من مراعاة الختمة، وحينما سئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إليّ. وسلني: لم ذاك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه"[(١)].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا:" لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلىّ من أن أقرأ القرآن كله"[(٢)].

فينبغي للعبد أن يحرص على الخشوع والتدبر ولا يكون كلُّ همه كم قرأ؟ فقد قال أبو حمزة: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلىَّ من أن أقرأ كما تقول"[(٣)].

٤- ترتيب أولويات طلب العلوم:

إن قراءة القرآن بدون تدبر قد تكون مفضولة، ولكنها مع التدبر تكون مقدمة لأنها أنفع لطالب العلم، وقد سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أيما طلب القرآن أو العلم أفضل ؟ فأجاب : " أما العلم الذي يجب علي الإنسان عينا كعلم ما أمر الله به وما نهي الله عنه، فهو مقدم علي حفظ ما لا يجب من القرآن فإن طلب العلم الأول واجب وطلب الثاني مستحب ، والواجب مقدم علي المستحب . وأما طلب حفظ القرآن : فهو مقدم علي كثير مما تسميه الناس علما ، وهو إما باطل أو قليل النفع ، وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم الدين من الأصول

---

(١) الحديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٠) حديث رقم (٤٧١) كتاب القرآن باب ما جاء في تحزيب القرآن. ط دار إحياء العلوم العربية سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. تحقيق / أبو أسامة سليم الهلالي- الناشر مكتبة الفرقان – دبي.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١١٩، تحقيق/ عبده الكوشك.

(٣) أخلاق أهل القرآن للآجري ص (١٦٩) تحقيق/ عمرو عبد اللطيف.

والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذافي هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين ... والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين "[1].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن تكرار القرآن والفقه: أيهما أفضل وأكثر أجرًا؟ فأجاب: "كلام الله لا يقاس به كلام الخلق، ... وأما الأفضل في حق الشخص: فهو بحسب حاجته ومنفعته فإن كان يحفظ القرآن وهو محتاج إلى تعليم غيره، فتعلمه ما يحتاج إليه أفضل من تكرار التلاوة التي لا يحتاج إلى تكرارها، وكذلك إن كان حفظ من القرآن ما يكفيه وهو محتاج إلى علم آخر، وكذلك إن كان قد حفظ القرآن أو بعضه وهو لا يفهم معانيه فتعلمه لما يفهمه من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معانيه ... وأما من تعبد بتلاوة الفقه فتعبده بتلاوة القرآن أفضل، وتدبره لمعاني القرآن أفضل من تدبره لكلام لا يحتاج لتدبره"[2].

٥- التفضيل بين القراءة من المصحف والقراءة عن ظهر قلب :

فإن هذا متعلق ومنوط بالتدبر والخشوع، وقد فصل النووي رَحِمَهُ اللَّهُ القول في ذلك، حين قال: "ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر قلب، ويختار القراءة عن ظهر قلب لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسنا، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل"[3].

---

(١) راجع: الفتاوى (٢٣/ ٥٦ -٦٣) وقد ضرب رَحِمَهُ اللَّهُ شواهد تدلل على ما قرره.

(٢) الفتاوى (٢٣/ ٥٥) .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (٧١) تحقيق أ/ مجدي إبراهيم – مكتبة

هذا وقد جاء في فتح الباري لابن حجر أنه ذكر قول ابن عبد السلام في تعليله تفضيل القراءة من الحفظ وعن ظهر قلب : "لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف"[(١)].

وجاء عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: ومن حيث المعنى أن القراءة في المصحف أسلم من الغلط لكن القراءة عن ظهر قلب أبعد من الرياء وأمكن للخشوع.

والذي نميل إليه في ذلك: أن هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فمن كمل خشوعه وتدبره بالقراءة عن ظهر قلب كان هذا أولى في حقه، وإن لم يجد القارئ ذلك الخشوع والتدبر بقراءته عن ظهر قلب أو وقع في اللحن أو الغلط أو النسيان فالأولى في حقه والأنفع أن يقرأ من المصحف – والله أعلم-.

٦- تدبر آيات الذكر الحكيم طريق إلى استخراج كنوزه ودرره وأحكامه :إن تدبر آيات الذكر الحكيم وقراءتها بخشوع وتعقل ليجعل المسلم على بصيرة بما ترمي إليه هذه الآيات من معانٍ جليلة، وغايات نبيلة واسرار لا تنتهي، كما تجعله يلتزم بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويقف عند حدوده... ويظهر ذلك بصور شتى يصعب حصرها، ولعل مما يقرب ذلك أن نضع عنوانًا مناسبًا لكل مثال مما يأتي نبين من خلاله بعض الثمرات التي يمكن أن نجنيها من ذلك التدبر...

(أ) الدقة اللفظية في استعمال الكلمات القرآنية :

وهذا فن عظيم يبرز ويجلى لنا أوجه الحسن في القرآن الكريم، ويبين لنا أن هناك ميزانًا وضعت يمقتضاه كل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم في موضعها اللائق بها، بحيث لا يمكن أن تحل محلها لفظة

القرآن.

(١) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٨) باب: القراءة عن ظهر قلب ط دار المعرفة – بيروت – إشراف أ/ الخطيب.

أخرى سواها، ولا يمكن أن يدرك تلك الحقيقة إلا أولوا الألباب من المتدبرين لكتاب الله تعالى والمتأملين لأسراره الجمة... ومن الأمثلة التي يستشهد به على ذلك:

١-ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام] حيث أكدّ سبحانه وتعالى قوله "لغفور" باللام وهذا لدلالة على سعة رحمته سبحانه وتعالى، ولم يؤكد سرعة العقاب بذلك هنا، وإن كان قد أكدّ ذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] لأن هناك (أي في الأعراف) – المقام مقام تخويف وتهديد، وبعد ذكر قصة المعتدين في السبت وغيره، فناسب تأكيد العقاب هناك، وأتى بصفتي الغفران والرحمة ولم يأت في جانب العقاب إلا بصفة واحدة دلالة على حلمه تعالى وسعة مغفرته ورحمته[(٢)] وأضاف العلماء في بيان السر في ذلك أيضًا: أنه لما تقدم ما يؤذن بالكرم والإحسان على آية الأنعام في قوله سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ ... ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام] ناسب ذلك ترك التوكيد في جانب العقاب، وفي الأعراف لما تقدم ما يؤذن بغضب الله وعذابه من اتخاذهم العجل وحلّ السبت ناسب ذلك توكيد جانب العذاب بدخول اللام [(٣)].وهذا يدل على أن لكل موضع ذُكِرَ فيه ما يلائمه ويناسبه ولا يفهم ذلك إلا عن طريق الخشوع والتدبر.

---

(١) سورة الأعراف آية (١٦٧) .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٣/ ٢٢٧-٢٢٨) ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

(٣) كشف المعاني في متشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة (١٠٢) ط دار المنار للطبع والنشر بالحسين – ط أولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢- من ذلك أيضًا ما ورد عند تدبر قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[١]. من تساؤل: عن الفرق بين التعبير بقوله: ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [٢] بصيغة التنكير في البقرة، ولا يمر مثل ذلك على المتدبرين المتأملين الذين خشعت قلوبهم وجوارحهم لآيات الله تعالى دون الوقوف على الحكمة من ذلك.

وقد وجه من اصطفاهم الله تعالى ومنَّ عليهم بتدبر آيات الذكر الحكيم ذلك بما يأتي: "قالوا": إن اسم الإشارة الذي هو – "هذا" في سورة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاءً بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٤] وتعريف البيت حاصل من تعريف البلد لا سيما بما تقدم من قول إبراهيم عند نزوله بولده بحرم الله ودعائه أولاً بقوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[٥] فتعريف البيت تعريف للبلد فورد اسم الإشارة غير مفتقر إلى التابع المبين جنسه كالجاري في أسماء الإشارة اكتفاءً بما تقدمه مما يحصل منه مقصود البيان فانتصب "بلدًا" مفعولاً ثانيًا، وآمنا" نعتا له واسم الإشارة مفعولاً أول غير محتاج إلى تابع لقيام ما تقدم مقامه، ولو تعرف لفظ "بلد" بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بيانًا زائدًا على

(١) سورة إبراهيم آية (٣٥) .
(٢) سورة البقرة آية (١٢٦) .
(٣) سورة البقرة آية (١٢٥) .
(٤) سورة البقرة آية (١٢٥) .
(٥) سورة إبراهيم آية (٣٧) .

ما تحصل مما تقدم بل كان يكون كالتكرار فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب. وأما آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه فلم يكن بد من إجراء "البلد" عليه تابعًا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب عطف بيان أو نعتًا، وقد انتصب اسم الإشارة المتبع على أنه مفعول أول، و"آمنًا" على أنه مفعول ثاني، ولم يكن عكس الوارد ليحسن ولا ليناسب[1].

ويمكن توجيه ذلك أيضًا بإيجاز: بأن الحكمة في تنكير البلد في البقرة "بلدًا آمنًا" أنه كان قبل بناء البلد حيث لم يكن بها أحد فطلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن تجعل بلدًا فيها مقومات الحياة وأن تكون آمنة، وفي سورة إبراهيم عرف البلد في قوله تعالى:"اجعل هذا البلد آمنًا" لأن ذلك كان بعد بنائها فطلب من الله تعالى أن يجعل فيها الأمن والاستقرار، فجاء كل موضع على أتم مناسبة وأكمل وجه مما يدل على الدقة اللفظية في استعمال الألفاظ القرآنية وأن كل أمة بل كل حرف جاء في موضعه المناسب ولا يدرك ذلك إلا أولوا النهى من المتدبرين لكتابه سبحانه وتعالى.

(ب)الامتثال للأمر ثمرة للتدبر:

من الأمثلة العديدة التي تدل على الالتزام بالأمر: امتثال النبي ﷺ لما أمره به ربه من التزام التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول سورة النصر فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما صلى النبي ﷺبعد أن نزلت عليه ﴿

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي جـ١ (٢٣٤-٢٣٥) بتصرف يسير. تحقيق/ سعيد الفلاح – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ط أولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [1] إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"[2].

وهذا هو شأن المتدبر لكتاب الله تعالى حين يقرأ القرآن الكريم يلتزم بأوامره ويخضع ويسلم ويذعن لحكم ربه في كل ما أمر به، ويجتنب ما نهى عنه فهذا هو الذي أضاء نور القرآن الكريم قلبه فاستجاب لأمر ربه تعالى.

(جـ) من ثمرات التدبر الوقوف على مضمون السورة وموضوعها:

من الأمثلة العديدة التي تدل على أن الخشوع والتدبر ينتج عنه الوقوف على الموضوع الرئيس للسورة، وما تتضمنه من توجيهات ربانية، ولا يصل إلى هذا المقام العظيم إلا من فتح الله عليه وخشع قلبه وخشعت جوارحه عند تلاوة آيات الذكر الحكيم.

ومما يدل على ذلك: ما جاء عن ابن عباس ﵄ قال: "كان عمر ﵁ يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم" فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذا يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعمله له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ

---

(١) سورة النصر آية (١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب التفسير – سورة إذا جاء نصر الله والفتح حديث ٤٦٨٣ جـ٨ ص (٦٠٥-٦٠٦) ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي – راجعه قصي محب الدين الخطيب.

﴿وذلك علامة أجلك:" ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول"[1].

فهنا لم يصل ابن عباس رضي الله عنهما لهذا الفهم الدقيق الصحيح إلا من خلال تدبره لآيات تلك السورة المباركة والوقوف على أسرارها وما تضمنته من حِكم ومعانٍ دقيقة لا يصل إليها إلا أولوا الألباب.

(د) التناسب البليغ بين ما تضمنته الآية وما ختمت به:

والأمثلة في هذا الباب أكثر من أن تحصى ومن ذلك: ما قالته عائشة رضي الله عنها بعد أن سمعت قول الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة]: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تكلم رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول"[2].

فمن يتدبر آيات الذكر الحكيم جيدًا يعلم يقينًا أن كل آيات القرآن ختمت بأسماء الله الحسنى التي تتناسب مع مضمون تلك الآيات.

(هـ) الوقوف على التناسب البليغ بين آيات القرآن الكريم: فإن من يتدبر آيات الذكر لحكيم بتمعن وخشوع؛ يدرك من أول وهلة أنها نسيج واحد متماسك مترابط كالبنيان يشد يعضه بعضًا؛ فلا يشعر بأي فجوة بين آياته وذلك لأنها من لدن حكيم خبير.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (فتح) : ك التفسير – سورة "إذا جاء نصر الله والفتح"- باب قوله "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا" حديث رقم: (٤٦٨٦) جـ٨ ص(٦٠٦-٦٠٧) فتح الباري ط دار الريان.

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه: كتاب الطلاق- باب الظهار حديث (٣٤٦٠) (٦/ ١٦٨) مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م – وصححه الحاكم في مستدركه بلفظ آخر: ك التفسير – باب نزول كفارة الظهار في أوس بن الصامت حديث ٣٨٤٣ (٣/ ٢٩٤) ووافقه الذهبي ط دار المعرفة – بيروت ١٤١٨هـ.

والأمثلة واضحة جلية بين آيات القرآن كلها فهي مترابطة الأجزاء يسلم السابق منها اللاحق في جو من التناغم والتناسب والترابط:

من ذلك: ما جاء في سورة الفاتحة قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : "وصف الله نفسه تعال بعد "رب العالمين" ترهيب قرنه بـ" الرحمن الرحيم" لما تضمنه من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع"[(١)].

ومن ذلك أيضًا: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة] فلما أخبر الله – سبحانه وتعالى- في الآية قيل ما دل على وحدانيته وقدرته وعِظم سلطانه أخبر أنه مع هذه الآيات القاهرة لذوي العقول – هناك من الناس من يتخذ معه – سبحانه وتعالى – أندادًا[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك: "ما أحسن اتصال هذه الآية بالتي قبلها فإنه تعالى لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين المزيلة لكل شك ذكر هنا أن "من الناس" مع هذا البيان التام "من يتخذ من دون الله أندادًا"[(٣)].

(و) من آثار التدبر أيضًا: الخوف من العقوبة والوعيد الوارد في الآيات:

مما يدل على ذلك: ما جاء عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "جئت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يبكي، وإذا المصحف بين يديه في حجره، فأعظمت أن أدنو منه، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس؟ جعلني الله فداك، فقال: هؤلاء الورقات وإذا هو في سورة

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٣٩) تحقيق: أحمد البردوني – مكتبة الرياض – ط الثانية.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٣) .

(٣) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ١٢١) مكتبة الرشد – ط الثانية

الأعراف... وذكر له أصحاب السبت... ثم قرأ ابن عباس: "﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف] قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها. قال: قلت: جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف] قال: فأمر لي فكُسيت ثوبين غليظين"[1].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٤٧) وقد ذكره ابن كثير عن عبد الرازق بسنده. تحقيق: دار القلم . بيروت.

المبحث الرابع
صوارف تمنع وتحول دون تدبر آيات الذكر الحكيم

إن التدبر يحتاج إلى : استحضار القلب، واستجماع الفكر، وحسن الإصغاء، وأمور أخرى كبذل الجهد في مطالعة التفسير، ومعرفة الأحكام وغير ذلك، وللأسف الشديد فإن واقعنا يكشف عن غياب وضعف التدبر عند كثير من الناس – إلا من رحم ربي- وهناك أسباب متعددة تصرف عن التدبر وتبعد عنه، ولا بد من ذكرها للعمل على اجتنابها، ومن أبرزها:

(أ) ارتكاب الذنوب والمعاصي والإصرار عليها وأمراض القلوب:

وهي من أعظم ما يصد القارئ عن اتعاظ قلبه وانشراح صدره لمواعظ القرآن وحِكمه وأحكامه، ومن المعلوم أن للذنوب أثرًا في قسوة القلوب وظلمة النفوس وقلة الفهم، والله جل وعلا أوضح طريق العلم والفهم بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] كما بين مقابل ذلك بقوله: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وليتخل التالي عن موانع الفهم، ومن ذلك أن يكون مصرًا على ذنب أو متصفًا بكبر أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل جلاء المرآة"[2].

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٨٢) .

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابنقدامة المقدسي (٦٧-٦٨) ط مكتبة دار البيان

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ :" اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لِلنَّاظِرِ فَهْمُ مَعَانِي الْوَحْيِ وَلَا يَظْهَرُ لَهُ أَسْرَارُهُ وَفِي قَلْبِهِ بِدْعَةٌ أَوْ كِبْرٌ أَوْ هَوًى أَوْ حُبُّ الدُّنْيَا أَوْ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى ذَنْبٍ أَوْ غَيْرُ مُتَحَقِّقٍ بِالْإِيمَانِ أَوْ ضَعِيفُ التَّحْقِيقِ أَوْ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْلِ مُفَسِّرٍ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَوْ رَاجِعٌ إِلَى مَعْقُولِهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا حُجُبٌ وَمَوَانِعُ بَعْضُهَا آكَدُ مِنْ بَعْضٍ "[1].

ولا شك أن من أعظم المعاصي التي تصد القلب عن تدبر القرآن تعلقه بشهوات الدنيا، فإن القلب لا يمكنه أن يسمو إلى المعالي وعظيم الفضائل ويشتاق ويطمئن إلى كلام الله وهو يعيش مع الجيف والنتن وسفاسف الهمم، التي تحوم عليها همم الفساق وأراذل الناس، ومن صور ذلك سماع الأغاني والتلذذ بكلماتها...

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته عن اثر سماع الأغاني علي القلب والإيمان:

والله إن سماعهم في القلب والـ ... إيمان مثل السم في الأبدان

فالقلب بيت الرب جل جـلاله ... حبًا وإخلاصًا مع الإحسان

فإذا تعلق بالسـماع أحاله ... عبدًا لكـل فلانة وفلان

حبُّ الكتاب وحبُّ ألحان الغنا ... في قلب عبدٍ ليس يجتمعان[2]

ومن هنا فمن أراد أن يمن عليه ربه بتدبر آياته؛ فعليه أن يخلي قلبه من أمراض القلوب والشهوات والإصرار على المعاصي، التي تحول بينه وبين التدبر، فمن اليقين أن المعاصي والشهوات تحدث ظلمة في

١٣٩٨هـ تحقيق/ شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٩٧) تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا – ط دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٢) القصيدة النونية لابن القيم – فصل في سماع أهل الجنة . انظر القصيدتين النونية والميمية ص(٢٢٤) .

قلب العبد فيحرم من رزق التدبر والخشوع لآياته سبحانه وتعالى بشؤم المعاصي والذنوب.

(ب) التركيز على كثرة التلاوة فقط:

ذكرنا سابقًا فضل التلاوة وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث، ولكنه مما ينبغي إيضاحه أن التلاوة قنطرة التدبر، وأن التلاوة الحقة هي التي تكون مع التدبر، وقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن[(١)]، فلا ينبغي حصر الهمة في كثرة التلاوة وعدد الختمات دون أدنى التفات للتدبر والفهم.

(جـ) انشغال القلب وشرود الذهن:

فالتلاوة مع انشغال الذهن بأمور الدنيا أو القراءة في أوقات وأماكن يكون فيها ناس كثيرون وحركة كثيرة وأحاديث متنوعة، كل ذلك لا يساعد على التدبر، بل يعلق القلب بما يرى ويسمع ويشغل الذهن بالتفكير في أمور بعيدة عن دلالة الآيات، ومما هو جدير بالذكر أن انشغال الذهن والقلب يصرف عن تدبر القرآن والتأثر به، وذلك لغفلة القلب ولو كان حيا لكنه مشغول عنه بغيره، فمن كان حاله كذلك فهو غائب القلب ليس حاضرًا؛ فهذا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه، ومثله البصير الطامح ببصره إلى غير المطلوب[(٢)].

ومن أكثر الشواغل التي تذكر حين التلاوة أن يكون هم القارئ إتمام السورة، دون أن يكون همه الفهم والاتعاظ والعبرة التي تحويها

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢٢١) ط دار زمزم تحقيق/ سيد إبراهيم وعلي محمد.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٤٢) حيث ذكر ابن القيم أن هذه الحالة بين من قلبه ميت، وبين من قلبه حي مستعد – ط دار الكتاب العربي سنة ١٣٩٢هـ.

الآيات.

ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة"[1].

(د) قصر الخشوع على أحوال أو آيات معينة أو قصر القراءة على أحوال خاصة:

فمن الناس من يقصر الخشوع في رمضان أو في القنوت، أو عند خشوع الإمام، أو عند آيات العذاب وذكر النار وأهوال القيامة، ومعلوم أن أسباب الخشوع ودواعيه متعددة، ففعله ﷺ عند التلاوة فيه خشوع وتدبر، فهو ينزه ويسبح عند آيات الأسماء والصفات، ويسأل الله من فضله عند ذكر جنته وإنعامه وفضله ورحمته، ويستعيذ عند ذكر النار والعذاب.

أضف إلى ذلك: أن هناك من الناس من يقصر قراءة القرآن على أحوال خاصة كمن لا يسعى إلى سماع القرآن إلا عند مرضه، أما في حال صحته وكمال عقله وصفاء ذهنه، فإنه لا يتشوق إلى سماع القرآن أو قراءته حيث حرم نفسه السبيل إلى تدبر القرآن، وكذلك حال من لا يعرف القرآن إلا تلاوة عند العزاء، أو عند افتتاح البرامج، أو في المناسبات العامة ولا يعرف له وقتًا آخر لسماع القرآن أو قراءته، فأنى له التدبر والتأمل والاعتبار والتأثر وهذه حاله؟!...[2].

(هـ) ترك التدبر تورعًا عن القول في كلام الله بغير علم:

من المفاهيم الخاطئة الاعتقاد بأن مهمة القارئ تنحصر في القراءة، دون التدبر والتأمل والنظر في المعنى وترك ذلك للعلماء والمفسرين؛ فيصرف القارئ همته إلى كثرة القراءة وسلامة التلاوة فحسب... وقد قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ :" فمن حيث كان القرآن معجزًا أفحم الفصحاء

---

(١) راجع في ذلك: أخلاق حملة القرآن للآجري ص(١٨) وأيضًا ص (١٠٢) ط دار الكتاب العربي تحقيق فؤاد أحمد زمرلي.

(٢) تدبر القرآن للسندي (٦٤) بتصرف.

وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله فذلك لا يخرجه عن كونه عربيًا جاريًا على أساليب كلام العرب ميسرًا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى لكن بشرط الدربة في اللسان العربي... إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول لمعانيه لكان خطابهم به من تكليف ما لا يطاق، وذلك مرفوع عن الأمة وهذا من جملة الوجوه الإعجازية فيه ..."[(١)].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : "قول متأخري الأصوليين: إن تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا لمجتهد خاصة... قول لا مستند له من دليل شرعي أصلاً، بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم وإدراك معاني الكتاب والسنة يجب عليه تعلمهما والعمل بما يعلم منهما...

ومما يوضح ذلك أن المخاطبين الأولين به الذين نزل فيهم هم المنافقون والكفار وليس أحد منهم مستكملاً لشروط الاجتهاد المقدرة ... فلو كان القرآن لا يجوز أن ينتفع بالعمل به والاهتداء بهديه إلا المجتهدون بالاصطلاح الأصولي لما وبخ الله الكفار وأنكر عليهم عدم الاهتداء بهداه ولما أقام عليهم الحجة به..."[(٢)]. ثم فصل رَحِمَهُ اللَّهُ القول في الرد على من قال بذلك.

(و) الانشغال بالمبهمات عن التدبر في الآيات:

إن الاهتمام بتفاصيل القصص والحوادث التي أغفلها القرآن ولم يذكرها، من الأمور التي تصرف القارئ عن التدبر وعن مقاصد الآيات العظيمة، فكثيرًا ما يرد في القرآن أعيان وأماكن وأعداد مبهمة ولم يوضحها رسول الله ﷺ ؛ لأنه لا جدوى من العلم بها فهي أمور لا

---

(١) الموافقات للشاطبي (٣/ ٨٠٥)

(٢) حيث ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٧/ ٤٤٧) مقالة أحم دالصاوي في حاشيته على الجلالين، وأفاض في بيان بطلان كلامه بما يشفي ويكفي. ط عالم الكتب- بيروت.

يتوقف عليها عمل ولا يحصل بها علم نافع يحتاج الناس إليه – فهي كما قيل: العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر – وقد هون الله من شأن معرفة الناس بعدد أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾[1].

فعلم بذلك أن عددهم لا طائل تحته، فمثل تلك الأمور لا فائدة فيها تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه [2].

فمن العجب أن يترك القارئ لكتاب الله تعالى التأمل والتدبر والموعظة التي يجب أن يعيها ويأخذها من قصص وآيات الذكر لحكيم وينشغل بمعرفة ما لا جدوى من ورائه كمن يترك أخذ العظة والعبرة مثلاً من قصة موسى عليه السلام وتدبير الله تعالى لأمره ونصرته ورعايته له وينشغل عن ذلك بالسؤال عن اسم أم موسى عليه السلام أو ما شابه ذلك.

---

(١) سورة الكهف آية ٢٢٠ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٤٣) وذد ذكر رحمه الله أمثلة عديدة على مبهمات ذكرت في القرآن ثم قال عنها: "لا فائدة في البحث عنها، ولا دليل على لاتحقيق فيها".

الخاتـــــمة

أولاً: ثمرة البحث ونتائجه:

وبعد أن عشت في رحاب هذا البحث المتعلق بكتاب الله تعالى والمسمى بـ:

"قصد السبيل إلى تدبر آيات الذكر الحكيم"

فإنه يحسن بي وقد انتهيت من هذا البحث –بعون الله وتوفيقه – أن أذكر **بعض النتائج** المهمة التي توصلت إليها والتي أختصرها فيما يلي:

١- إن كلام أئمة التفسير في معنى تدبر القرآن يراد به تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة وما دخل في ضمنها وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لا يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه...

٢- أنه لن ينتفع بالقرآن وآياته إلا من أخلص له قلبه ونيته وتدبر الكتاب في عقله وسمعه وعمَّر به قلبه وأعمل به جوارحه وجعله سميره في ليله ونهاره وتمسك به وتدبره...

٣- أنه حينما غفلت الأمة – إلا ما رحم ربي- عن هذا التدبر والخشوع ابتليت بالأمراض النفسية والأزمات الأخلاقية وأنه لا علاج لها من تلك الأمراض والأزمات إلابالتمسك بكتاب الله تعالى وتدبر آياته والتخلق بها...

٤- أنه قد تنوع الأسلوب القرآني في دعوته للتدبر مرة بأسلوب صريح مباشر، ومرة أخرى يوجه الخطاب لأولي الألباب والنهى، ومرة أخرى يدعو إلى التدبر عن طريق ذكر القصص القرآني للتدبر والعظة، ومرة أخرى يضرب الأمثال في القرآن بقصد التدبر والتفكر، وتارة أخرى يختم الآيات بما يدعو إلى التدبر والتفكر...

٥- إن حق القرآن علينا كبير وواجبنا تجاهه عظيم سيما وهو الكتاب المحفوظ والمعجزة الخالدة والرسالة الصالحة لكل زمان ومكان والهداية الباقية إلى قيام الساعة، فإن القرآن لكريم كما أكدنا لم ينزل لمجرد أن تصدح به الأصوات، وتطرب الأذان لحسن تلاوته ولأن نكتفي بحفظه في الصدور فحسب بل لا بد من العمل به والدعوة إليه وذلك يستلزم التدبر في معانيه وفهم مراميه ومعرفة تفسيره والعلم بأحكامه وكل ذلك من واجبات الأمة المسلمة – بل وكل فرد من أفرادها – تجاه القرآن العظيم...

٦- هناك جملة من الأسباب والسبل التي تعين القارئ لكتاب الله تعالى على تدبر آياته واستخراج كنوزه ودرره ... منها : تيقن العبد أن الله أنزل القرآن للتدبر والتعبد بتلاوته؛ تحسين الصوت بالقرآن والتغني بالقراءة مع الترتي؛ تفريغ النفس من الشواغل لمانعة من التلاوة والتدبر، الاستعاذة والإنصات عند سماع القرآن، تخصيص ورد قرآني للتدبر مع تكرار التلاوة وحضور مجالس التفسير، الررتسل بالقراءة والنهي عن العجلة، حسن الابتداء والوقف مع تذوق معاني الآيات والتعايش معها، تصور حال الدعوة عند نزول الآيات...

٧- مما لا شك فيه أن هناك جملة من الآثار المحمودة المترتبة على تدبر آيات الذكر الحكيم منها: (زيادة الإيمان وعظم الأجر والثواب – شفاء القلوب وحصول البركة والخيرات – طلب العلوم – التفضيل بين القراءة من المصحف والقراءة عن ظهر قلب- استخراج كنوزه ودرره وأحكامه والوقوف على بعض أسراره التي لا تنتهي...).

٨- هناك جملة من الأمور التي تصرف وتحول دون تدبر آيات الذكر لحكيم منها: ارتكاب الذنوب والمعاصي والإصرار عليها وأمراض القلوب، التركيز على كثرة التلاوة فحسب، انشغال القلب وشرود الذهن، قصر الخشوع على أحوال أو آيات معينة أو قصر القراءة على أحوال خاصة،

ترك التدبر تورعًا عن القول في كلام الله بغير علم، الانشغال بالمبهمات عن التدبر في الآيات...

٩- ننصح من يقرأ كتاب الله تعالى أن يستحضر عظمة القرآن، وجلالة قدره، وعلو منزلته، وجزيل إنعام الله على من قرأه، فيتهيأ لكلام الله بالوجل والرجاء والفرح به عسى أن يظفر بالمقصود من إنزاله وليتهيأ لذلك ظاهرًا وباطنًا.

١٠- على القارئ الذي يحرص على تدبر آيات القرآن أن ينظر في مورد السياق – (فيتأمل الكلام السابق واللاحق) – واستحضار موضوع السورة، أو المقطع أو المشهد الذي تصوره الآيات والبحث عن حكمة لترتيب ووجه التعقيب والتذييل في آخر الآية والمقصد والهدف الذي تدور حوله الآيات مع تصور الأثر المقصود الذي تحدثه الآيات في نفس القارئ ونفوس السامعين فيسبح تارة، ويسألأ تارة، ويستعيذ تارة أخرى...

١١- على القارئ إذا تأثر بآية وانتفع بها قلبه أن يفرح بها ويكررها ويعيد النظر فيها فهذاأدعى للخشوع والتدبر.

١٢- أن غاية التدبر : الهداية والاعتبار وأن التدبر مبني كما ذكرنا علي معرفة التفسير وفهم المعاني .

١٣- أن صحة التدبر مرهونة بسلامة القلب وأن اتباع المتشابه صاد عن التدبر وأن ثمرة التدبر تحصل بالدوام والاستمرار عليه .

١٤- يجب أن نعلم أن التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم والتعايش معها أكبر دافع لموهم التعارض بين الآيات القرآنية .

وأخيرًا: فإني لم أبخل على هذا البحث بوقت أو جهد، ولا أدعي أنني قد بلغت الكمال –فالكمال لله وحده – ولكن ما كان فيه من صواب فمن الله وحده ولسان حالي ومقالي يرددان: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا

بِٱللَّهِ ۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (١)

وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى منه وما هو إلا جهد المقل وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ودعائي: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ ۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٢)

كما أرجوه سبحانه وتعالى أن يجعله سبيلاً وعونا لكل من قصد تدبر آيات الذكر الحكيم وشرح الله صدره إلى ذلك التدبر والخشوع فانتفع بآيات القرآن العظيم.... والحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه، والشكر والثناء التامان على ما يسره وأعان. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام.

(١) سورة هود آية (٨٨) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب التفسير وعلو مالقرآن

١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي – ط المكتب الإسلامي – دار ابن حزم ط أولى ١٤٢٣هـ.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ط أولى . دار الكتب العلمية – بيروت: ١٤٢٢هـ تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي.

٣- معالم التنزيل للبغوي – طار طيبة للنشر والتوزيع – ط ٤: ١٤١٧هـ – تحقيق/ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية وآخرين.

٤- الكشاف للزمخشري: ط دار إحياء التراث العربي،بيروت، دار المعرفة .

٥- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للرازي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الرابعة.

٦- روح المعاني للآلوسي – ط دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ.

٧- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور- ط الدار التونسية للنشر والتوزيع.

٨- تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل: مؤسسة شعبان،بيروت، لبنان.

٩- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي – عالم الكتب – بيروت

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- تحقيق دار القلم – بيروت.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي – تحقيق / عبد الرحمن اللويحق – مكتبة الرشد – ط ثانية ١٤٢١هـ.

١٢- القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ السعدي – ط دار ابن الجوزي – ط أولى ١٤١٣هـ.
١٣- منهج الاستنباط من القرآن الكريم د/ فهد الوهبي – مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي – جدة – ط أولى ١٤٢٨هـ.
١٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
١٥- تفسير الطبري – تحقيق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر ط ١: ١٤٢١هـ،ط. دار المعارف بمصر تح: أ/ أحمد شاكر وأ/ محمود شاكر.
١٦- فتح القدير للشوكاني- ط مكتبة المعارف بمصر.
١٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – تح: أحمد البردوني، مكتبة الرياض، ط٢.
١٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
١٩- البرهان في علوم القرآن للزركشي – تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم – ط دار الفكر – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ – ط أولى ١٤٠٨هـ بتحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا – دار الفكر – بيروت.
٢٠- أخلاق أهل القرآن للآجري – تحقيق محمد عمرو عبد اللطيف – دار الباز بمكة المكرمة.
٢١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط دار المعرفة – بيروت.
٢٢- التبيان في آداب حملةالقرآن للنووي – تحقيق/ عبده الكوشك – مكتبة الإحسان – دمشق ط أولى ١٤٠٨هـ + ط دار ابن حزم – تحقيق أ/ محمد الحجار – وأيضًا ط – مكتبة القرآن – تحقيق / مجدي إبراهيم.
٢٣- الوافي في شرح الشاطبية للشيخ/ عبد الفتاح القاضي – طالمعاهد الأزهرية – نشر مطبعة عبد الرحمن محمد – القاهرة.
٢٤- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ عدنان زرزور – دار القرآن الكريم – الكويت ط١: ١٤٠٥هـ و ط ٣: ١٣٩٩هـ.
٢٥- فضائل القرآن لابن كثير. ط دار الأندلس.

٢٦- تدبر القرآن للشيخ سلمان السنيدي ط ثانية ١٤٢٣هـ - مجلة البيان – فهرسة مكتبة الملك فهد – الرياض
٢٧- أخلاق حملةالقرآن للآجري، تحقيق:فؤاد زمرلي، ط دار الكتاب العربي.
٢٨- كشف المعاني في متشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة ط دار المنار للطبع والنشر بالحسين – ط أولى ١٤١٨هـ١٩٩٨م.
٢٩- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي تحقيق أ/ سعيد الفلاح – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ط أولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٣٠- ثانيًا: كتب الحديث وعلومه:
٣١- فتح الباري بشرح صيح البخاري لابن حجر العسقلاني – ط دار الريان – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي – مح الدين الخطيب ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م+ ط دار المعرفة ترقيم / عبد الباقي – إشراف / الخطيب.
٣٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل – ط دار إحياء التراث الإسلامي العربي ١٩٩٣م، و ط. دار المعارف بمصر: ١٣٧٣هـ ،ط٤: تح:أحمد شاكر.
٣٣- صحيح البخاري – المكتبة الإسلامية – استنبول – تركيا ١٩٧٩م.
٣٤- صحيح مسلم – تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي – رئاسة إدارات البحوث لعلمية – الرياض ١٤٠٠هـ.
٣٥- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي – تحقيق الألباني – ط المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٣٦- كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي – تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي – مؤسسة الرسالة – بيروت ط أولى ١٣٩٩هـ.
٣٧- سنن الترمذي – تحقيق أ/ أحمد شاكر ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٨- المستدرك على اصحيحين للحاكم النيسابوري – ط دار المعرفة – بيروت سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م
٣٩- شرح السنة للبغوي – تحقيق / شعيب الأرنؤوط – ومحمد زهير الشاويش – رئاسة البحوث العلمية – الرياض ط أولى ١٤٠٠هـ.

٤٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي – ط دار المعرفة – بيروت.
٤١- الموطأ للإمام مالك – ط دار إحياء العلوم العربية:١٤١٤هـ =١٩٩٤م تحقيق / سليم الهلالي (أبي أسامة) – الناشر مكتبة الفرقان – دبي.
٤٢- سنن النسائي – مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤٣- رابعًا: كتب أخرى:
٤٤- الفوائد لابن القيم – تحقيق/ محمد عزيز شمس – مؤسسة سليمان الراجحي . ط دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
٤٥- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط دار إحياء التراث ط ١: ١٤٢٢هـ.
٤٦- التعريفات للجرجاني ط دار الكتب العلمية، بيروت ط٣ : ١٤٠٨هـ.
٤٧- مفتاح دار السعادة لابن القيم ط.دار زمزم تح: سيد إبراهيم وعلي محمد.
٤٨- مدارج السالكين لابن القيم تحقيق/ محمد حامد الفقي – ط دار الكتاب العربي: ١٣٩٢هـ.
٤٩- التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي تح: ثروت ممد نافع،دار التوحيد،مصر.
٥٠- الفتاوى لابن تيمية. ط دار المعرف – بيروت، و ط. الرئاسة العامة لشئون الحرمين – تحقيق/ عبد الرحمن القاسم.
٥١- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن لقيم – ط مؤسسة الرسالة.
٥٢- الآداب لشرعية لابن مفلح –ط مؤسسة الرسلة.
٥٣- إغثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم – ط دار المعرفة – بيروت.
٥٤- مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن لمقدسي – تحقيق / شعيب وعبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان سنة ١٣٩٨هـ.
٥٥- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢:السنة المحمدية.